

حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا
من المحبة والتعاون على الحق والخير
وكيف شوّه المغرضون جمال سيرتهم

تأليف

محب الدين الخطيب

قدم له وعلق عليه

د. محمد بن صالح السلمي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com



دائرة البحوث والدراسات

2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

- أ الفهرس
- ١ مقدمة المعلق
- ٣ ترجمة المؤلف
- ١٤ بيان مكانة الصحابة
- ١٦ جهود الصحابة والتابعين في حفظ السنة ونشر الإسلام
- ٢١ أثر الفرق في تشويه تاريخ الإسلام
- ٣٢ الدعوة إلى كتابة تاريخ المسلمين
- ٣٢ من ينايحه الصافية
- ٣٦ دور علماء الحديث في رسم
- ٣٦ منهج نقد الرواة والروايات
- ٣٧ الرد على مزاعم الشيعة
- ٤٠ نظر الصحابة إلى الخلافة وميزاتهم

-
-
- ٤٥ أثر ابن سبأ في الفتنة
- ٥٢ من وسائله في إثارة الفتنة
- ٥٤ أول الفتن ظهوراً
- ٥٧ ظهور الخوارج والشيعة
- ٥٩ واقعة التحكيم
- ٦٤ من شروط كتاب التاريخ

مقدمة المعلق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فهذه رسالة لطيفة مركزة تعالج موضوعًا مهمًا، وتوضح حقائق تاريخية صادقة عن الجيل الأول، وتجلي صورتهم الواقعية وما كانوا عليه من المحبة والألفة، وصدق الديانة والرغبة في نشر الحق والخير والهدى بين عباد الله. كما أنها تشير في إجمال إلى ما تعرض له تاريخ الصدر الأول من تشويه لصورته الناصعة، وتحريف لواقعه الجميل على أيدي أقوام أعمى الله بصائرهم عن الحق، وامتألت قلوبهم من الحقد والغل على خيار خلق الله، أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عن أصحابه، ففرقوا بينهم، وجعلوهم شيعةً وأحزابًا، وهذا لعمر الحق محض افتراء وكذب وبهتان، وتزوير لحقائق التاريخ. والواقع المثالي الذي كانوا عليه يكذب ذلك، ولذا مكَّنه الله ونصرهم ونشر الخير على أيديهم في مشارق الأرض ومغاربها، وفي سنوات معدودة وصلت جيوش الخليفة الثاني لرسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى نهر جيحون بل قطعت النهر مرارًا، وفتحت أرمينية كلها في خلافة عثمان بن عفان وكذا أفريقية. وقد رأيت إعادة نشرها وتيسير وصولها إلى أيدي الباحثين والقراء مع

التعليق عليها، وتوثيق نصوصها، ووضع عناوين لمباحثها مما يساعد على فهمها، وقدمت بين يدي ذلك بتعريف موجز لكاتبها السيد محب الدين الخطيب عليه رحمة الله، ودراسة موجزة لموضوعها، وميزت تعليقات المؤلف عن تعليقاتي بوضع كلمة «محب» بعد تعليقات المؤلف.

أسأل الله أن ينفع بذلك وأن يوفقنا والمسلمين لكل خير وهدى، والحمد لله رب العالمين.

د. مُحَمَّدُ بن صامل السلمي

أستاذ مشارك بقسم التاريخ الإسلامي

جامعة أم القرى

ترجمة المؤلف

نسبه:

محب الدين بن أبي الفتح مُحمَّد بن عبد القادر بن صالح ابن عبد الرحيم الخطيب^(١).

وأصل أسرة الخطيب من بغداد ثم انتقلت إلى حماه ثم إلى بلدة عذراء^(٢) في غوطة دمشق، واستقرت الأسرة في دمشق، وتحتفظ الأسرة بشهادة تفيد أنهم ينتسبون إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣).

ولادته:

ولد محب الدين في دمشق سنة ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٦م.

نشأته وحياته العلمية والعملية:

لقد توفيت أمه وهو صغير في ذي الحجة سنة ١٣١٠هـ في طريق عودتها

(١) مُحمَّد مطيع الحافظ: تاريخ علماء دمشق، (١٤٧/٢)، خير الدين الزركلي: الأعلام (٢٨٢/٥).

(٢) عذراء: بالفتح ثم السكون، والمد، قرية بغوطة دمشق وإليها ينسب المرح فيقال: مرج عذراء (ياقوت: معجم البلدان، ٩١/٤).

(٣) سعد فواز مناور: محب الدين الخطيب، أفكاره وجهوده في الإصلاح الإسلامي (ص ٢٣ رسالة ماجستير غير منشورة).

من الحج ودفنت في البرية بين مكة والمدينة^(١).

وقد اعتنى والده بتربيته فأدخله الكتاب لتعلم القراءة والكتابة، فقرأ القرآن وأجاد تلاوته ثم أدخله والده المدرسة في دمشق، وكان والده أمين دار الكتب الظاهرية التي أسسها الشيخ طاهر الجزائري، وقد توفي والده سنة ١٣١٥هـ^(٢) فأوصى الشيخ طاهر أن يخلف والده في عمله في دار الكتب، مما أتاح له الاطلاع على كتب التراث والعلوم الإسلامية. ومما قرأ في هذه الفترة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وبعد إتمام الدراسة الثانوية سافر إلى الأستانة سنة ١٣٢٣هـ لدراسة الآداب والحقوق.

وقد تعرف في الأستانة على عدد من الشبان العرب الذين يتلقون تعليمهم في الدولة العثمانية، وكان من بينهم الأمير عارف الشهابي من أمراء الأسرة الشهابية في لبنان.

وقد اتفقوا على تأسيس جمعية النهضة العربية، ثم افتتحوا لها فرعاً في دمشق^(٣) سنة ١٣٢٤هـ، وكانت السلطات العثمانية تراقبهم وتشدد عليهم، فعاد محب الدين إلى دمشق قبل أن يكمل دراسته، وقد أتاحت له فرصة العمل في اليمن مترجماً في القنصلية البريطانية في الحديدة فسافر إلى اليمن عن طريق مصر، وفي مصر التقى بشيخه طاهر الجزائري الذي هاجر إلى مصر، كما اجتمع برشيد رضا وغيره من رجالات الإصلاح، وتعرف عن طريق رشيد

(١) مُجَّد مطيع: المصدر السابق (٢/٨٤٧).

(٢) سعد فواز: المصدر السابق (ص٢٦).

(٣) الزركلي الأعلام (٥/٢٨٢).

رضاً إلى جمعية الشورى العثمانية والتي افتتحت لها فروعاً في مختلف البلدان، فاستعد محب الدين أن يفتح فرعاً للجمعية في اليمن وأخذ تفويضاً بذلك^(١). وبعد وصوله إلى اليمن سعى إلى فتح الفرع، وتعرّف على رجالات اليمن والمهاجرين إليها، ونشّط العمل في المدرسة الأميرية في الحديدة ووضع لها مناهج، وتبرع بالتدريس فيها مع عدد من زملائه، ثم سعى إلى تأسيس مطبعة وجريدة في اليمن، وقد جمع لها المال، لكن عودته إلى دمشق في أوائل سنة ١٣٢٧هـ الموافق سنة ١٩٠٩م، حال دون إكمال المشروع^(٢). ومن دمشق سافر إلى الأستانة وجدد قيده في كلية الحقوق بالسنة الثالثة على أمل إكمال الدراسة، لكنه عدل عن ذلك وسافر إلى مصر ليستقر بها، فوصلها في رجب سنة ١٣٢٧هـ الموافق سنة ١٩٠٩م. وفي مصر شارك في تحرير جريدة المؤيد، وأسس المكتبة السلفية، كما شارك في حزب اللامركزية العثماني برئاسة رفيق العظم^(٣)، ولما تأسست في بيروت، ثم في باريس، جمعية العربية الفتاة^(٤)، كان محب الدين يمثل الجمعية بمصر وينفذ قراراتها التي لها علاقة بحزب اللامركزية^(٥). وعند قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) انتدبته إحدى الجمعيات العربية للاتصال بأمرء العرب في الخليج والجزيرة، فاعتقلته السلطات

(١) مُجَّد مطيع الحافظ: المصدر السابق (٢/٨٥٢).

(٢) المصدر نفسه، (٢/٨٥٤).

(٣) عن هذه الجمعية انظر، مُجَّد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة (ص ٣٦٠) وما بعدها.

(٤) انظر عن هذه الجمعية المصدر السابق (ص ٤٨٠) وما بعدها.

(٥) مُجَّد مطيع الحافظ: المصدر السابق (٢/٨٥٦).

البريطانية في البصرة لمدة سبعة أشهر^(١)، ولما أعلن الشريف حسين الثورة العربية في مكة على الدولة العثمانية في ١٠ يونيو سنة ١٩١٦م الموافق سنة ١٣٣٥هـ قدم إلى مكة، وحرر جريدة القبلة بمكة، وهي الجريدة الرسمية لحكومة الحجاز، ولما خرج العثمانيون من دمشق عاد إليها سنة ١٩١٨م وتولى إدارة جريدة العاصمة^(٢).

وبعد دخول الفرنسيين دمشق سنة ١٩٢٠م توارى عن الأنظار، ثم ذهب إلى مصر واستقر بها، فاشتغل بالتحضير في جريدة الأهرام، كما أسس مجلة الزهراء، وهي مجلة شهرية، ثم أسس جريدة الفتح في ٢٢ ذي الحجة ١٣٤٤هـ الموافق شهر مايو سنة ١٩٢٦م، وهي جريدة أسبوعية، واستمرت حتى أواخر عام ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م، وتولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، وكان من أوائل المؤسسين لجمعية الشبان المسلمين في القاهرة^(٣).

وفاته:

استمر في مكتبته السلفية يؤلف، ويعلق، ويكتب المقالات، وينشر الكتب، قرابة نصف قرن حتى توفى بالقاهرة في ٢٢ شوال ١٣٨٩هـ، ٣٠ كانون الأول

(١) الزركلي المصدر السابق (٢٨٢/٥).

(٢) المصدر نفسه (٢٨٢/٥).

(٣) الزركلي المصدر السابق (٢٨٢/٥) ومُجَّد مطيع الحافظ، المصدر السابق (٨٥٨/٢)، وجمعية الشبان المسلمين، كانت ذات وجهة إصلاحية فكرية وثقافية، لكنها تحولت فيما بعد إلى الاهتمام بالجانب الرياضي مع ضعف الجانب الفكري، ولا تزال الجمعية قائمة إلى اليوم.

١٩٦٩ م^(١) رحمه الله رحمة واسعة.

مؤلفاته وتحقيقاته:

- لقد ترك محب الدين كثيراً من المؤلفات والرسائل^(٢) منها:
- توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري (شرح مختصر) ولم يطبع.
 - مع الرعيل الأول. طبع عدة طبعات.
 - الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الأثني عشرية. طبع عدة مرات وترجم إلى عدد من اللغات الأجنبية.
 - اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب. طبع بالمكتبة السلفية.
 - حملة رسالة الإسلام الأولون. وهي الرسالة التي نقدم لها.
 - ذو النورين عثمان بن عفان. طبع بالمكتبة السلفية.
- ومن تحقيقاته:
- العواصم من القواصم: للقاضي ابن العربي. طبع مراراً.
 - المنتقى من منهاج الاعتدال: للإمام الذهبي. طبع بالمكتبة السلفية.
 - مختصر التحفة الأثني عشرية: اختصار محمود شكري الألوسي. طبع بالمكتبة السلفية.
 - الميسر والقдах: لابن قتيبة. طبع بالمكتبة السلفية.
- ومن الكتب التي ترجمها:
- مذكرات غليوم الثاني.

(١) مُجَدِّ مطبع، الحافظ، المصدر نفسه (٨٦٢/٢).

(٢) انظر هذه القائمة وغيرها في المصدر السابق (٨٦٠/٢-٣٦١).

- الغارة على العالم الإسلامي. طبع عدة طبعات.

دراسة لموضوع الرسالة

لقد تعرض التاريخ الإسلامي، وتاريخ الصدر الأول من هذه الأمة - بوجه خاص - لحملة شعواء من التشويه والتحريف، واختراع القصص والحكايات. وكيد الأعداء أمر متوقع، وكلما كانت الصورة ناصعة بيضاء كلما كانت النقاط السوداء وإن كانت قليلة ألفت للنظر والانتباه، ونحن نعلم أنه لم تسلم كتب الله المنزلة على رسله من محاولات التحريف، ولا سير الرسل والأنبياء الأبطال من التشويه، ولهذا لا نستغرب ما نجده في كتب الأخبارين وأهل التاريخ فضلاً عن كتب الآداب والحكايات والسمر، من أخبار مخترعة أو أحداث مصورة على غير صورتها، أو مزاد فيها أو منقوص منها حتى خرجت عن مقصدها، وأعطت دلالة مخالفة لواقعها، لأن أهل الأهواء وأصحاب التشيعات المذهبية والانحرافات العقدية تسعى بهم أهواؤهم إلى هذه الحالة ومعاداة أهل الفضل والاستقامة.

وكان الجيل المثالي الذي ربّاه رسول الله ﷺ بالوحي المنزل عليه هم الذين حملوا رسالة الإسلام، ونشروا الدعوة، وقاموا بفريضة الجهاد مع رسول الله ﷺ وبعد وفاته، وفتحوا بلاد الله الواسعة، ونقلوا الهداية كاملة إلى كل من عرفوا أو اتصلوا بهم من أهل الأرض، وأقاموا العدل، ومنعوا الظلم والجور، بإقامة شرع الله والحكم بين الناس بما أنزل الله، فهم خير الناس للناس.

وهذا الجيل المثالي والرعيل الأول من أصحاب محمد ﷺ لم تعرف البشرية له مثيلاً، فقد ربّاهم إمام المرين، وبمنهج اختاره رب العالمين، هو دين الإسلام

وملة التوحيد الحنيفية السمحة.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(١)، وقال ﷺ: «النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهب أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»^(٢).

فهذه منزلة الصحابة في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ ونحن لم نورد كل النصوص وإنما اكتفينا بذكر بعضها فأيهما نصدق، النصوص القطعية في كتاب الله، والثناء المؤكد من رسول الله، أم أخبار الكذابين والحاقدين وحكايات القصص والمخدولين!!؟

إن تاريخ هذا الجيل الذي بناه رسول الله ﷺ وراه على عينه لا يخالف هذه النصوص، بل يتسق معها ويتوافق. والواقع الصحيح لتاريخ جيل الصحابة ﷺ لا يخرج عن دلالة النصوص وفحواها، والصحابة ﷺ هم من جملة البشر وليسوا معصومين من الخطأ، لكنهم بفضل المنهج الذي تربوا عليه، وبكمال المري الذي تولى تربيتهم صلوات ربي وسلامه عليه، اكتمل بناؤهم النفسي

(١) حديث صحيح متفق عليه، انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١٨١/٣).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري (صحيح مسلم بشرح النووي ٨٢/١٦).

والسلوكي، فصاروا لا يتعمدون الخطأ، وغايتهم العليا تحقيق مرضاة الله، وخلصت نفوسهم من حظوظ الدنيا، فإذا وقع من أحدهم خطأ فسرعان ما يعود ويقلع عن الخطأ، فهم لا يصرون على ما فعلوا، وفهمهم لنصوص الشرع هو أكمل الفهم، لمشاهدتهم تنزل الوحي، ولمعاشرتهم لمبلغ الوحي، ولسلامة فطرتهم ولغتهم، فيفهمون معنى الخطاب، ومقاصد الشريعة، ويسعون لتحقيق ذلك.

والواجب علينا نحوهم هو:

- ١- احترامهم ورعاية حقوقهم والتأدب معهم.
- ٢- نشر فضائلهم وأخبارهم.
- ٣- الاهتمام بمهديهم والاعتبار بفهمهم واتباعهم بإحسان.
- ٤- الإمساك عمّا شجر بينهم من خلاف والتّرضي عنهم جميعاً^(١).
- ٥- اعتقاد عدالتهم وتوثيقهم جميعاً لتعديل الله ورسوله لهم وإجماع الأمة على ذلك^(٢).

وهذه الرسالة التي نقدم لها ونعلق عليها نتحدث عن حملة رسالة الإسلام

^(١) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] سورة الحشر، آية: (١٠)، وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا...» أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني حديث رقم (٣٤) وقد حكم الشيخ بصحته بعد دراسة طرقة.

^(٢) انظر الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية (ص ٩٦).

الأولين وما كانوا عليه من المحبة والولاء لبعضهم، وتشير إلى ما فعله المغرضون من تشويه لتاريخهم وجهادهم ﷺ، وقد تولى كبر ذلك طائفة الروافض قديماً وحديثاً، وشايعهم وساندهم المستشرقون الذين فرحوا بأكاذيب الروافض فأشاعوها، وفسروا تاريخ الإسلام على أساس الصراعات والأهواء التي يذكرها رواة الشيعة ومصنفيهم، وقد تلقى ذلك عنهم طائفة عريضة من الكتاب والباحثين بل والمؤرخين المعاصرين، فأشاعوا ذلك في محاضراتهم، ودروسهم، ومقالاتهم، تقليداً منهم للدراسات الجاهزة، وعجزاً أو كسلاً عن الرجوع إلى المصادر الصحيحة للتاريخ الإسلامي، ونقد الروايات التاريخية حسب الأصول العلمية التي قررها علماء الإسلام في نقد الروايات والأخبار.

إن مصادر التاريخ الإسلام في القرون الأولى قد دونت على منهاج غير المنهاج المتعارف عليه في عصرنا الحاضر، فلا بد من معرفة هذا المنهاج وتمييز المصادر وترتيبها، ومعرفة المصنفين والرواة وما قيل فيهم جرحاً وتعديلاً، وترتيبها مع معرفة مقاصد الشريعة، ووظيفة الرسالة التي أخرجت جيل النصر والقدوة، وطلیعة العزة والكرامة، لنعرف أهل الحق والإستقامة ونميزهم عن نوابت الضلال وانحرافات التدين، علل أهل الديانات السابقة.

وقد أجاد المصنف رحمه الله في هذه الرسالة التي كانت في الأصل مقالة رصينة نشرها في مجلة «المسلمون» السنة الأولى العدد الخامس (رجب سنة ١٣٧١هـ، ص ٤٦٥-٤٨٠).

ثم أعاد نشرها خاتمة لكتاب «مختصر التحفة الإثني عشرية»، الذي نشره وعلق عليه في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ، من (٣٠٥-٣٢٤).

ثم نشرها في رسالة مستقلة عن المطبعة السلفية بالقاهرة بدون تاريخ للطبع. والأستاذ محب الدين الخطيب من أوائل الكتاب والباحثين في العصر الحديث الذين تنبهوا لخطر الشيعة على الأمة الإسلامية ودسائسها على التاريخ والتراث الإسلامي عبر الأجيال، فكتب عشرات الأبحاث والمقالات والكتب التي تكشف عنهم وعن عقائدهم وتحذر الأمة منهم، وقد رجع إلى كتبهم المعتمدة عندهم، والتقى برجالاتهم وعلمائهم وحاوهم وراسلهم، وكانت قد افتتحت في عصره دار التقريب بين أهل السنة والشيعة في القاهرة^(١)، وقد انخدع بها بعض الناس، ولكن محب الدين الخطيب وأمثاله من العلماء النابغين لم ينخدعوا وعرفوا أن قصدها هو تقريب أهل السنة إلى التشيع، وتحسين صورة الشيعة عند عامة الأمة؛ لأنه من المستحيل التقريب بين أهل السنة والشيعة لاختلاف الأصول بينهما، فالخلاف معهم خلاف جوهري، أصلي، عقدي، وليس خلافاً في أمور فرعية واجتهادية، لا يؤمنون بالقرآن وبدلالته كما نؤمن به، ولا يقبلون السنة المروية عن رسول الله ﷺ إلا من طريق رواهم، فلا يستدلون بما في الصحيحين والسنن والمسانيد كما هو الحال عند المسلمين وإنما عندهم أحاديث أخرى وكتب غير هذه الكتب.

وقد دعى الخطيب رحمته في تعليقاته على الكتب التي نشرها، وفي مقالاته إلى تنقية مصادر التاريخ الإسلامي من الروايات المكذوبة والضعيفة، وإلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بصورة واقعية صحيحة وعلى منهج علمي

(١) انظر عن دار التقريب: د/ ناصر القفاري؛ مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، نشر

صحيح يقتفي آثار العلماء الثقة ويستفيد من منهج علماء الحديث النبوي في الجرح والتعديل^(١). ولم تذهب دعوته هباءً بل كان لها صدى واستحباب لها في عصره وبعد عصره علماء وباحثون كُثُر والحمد لله، وقد ذكرت في التعليق على هذه الرسالة نماذج من تلك الدراسات.

فإلى نص الرسالة:

(١) انظر عن جهوده في هذا الباب، سعد فواز مناور، محب الدين الخطيب أفكاره وجهوده في الإصلاح الإسلامي (ص ١١٣-١٢٥).

بيان مكانة الصحابة

روى الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري في صحيحه (ك٦٢ب١)^(١) عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (قال عمران بن حصين: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً)^(٢) ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن». وروى البخاري مثله بعده عن عبد الله بن مسعود^(٣) عن النبي ﷺ. وحديث ابن مسعود هذا عند الإمام أحمد أيضًا في مسنده^(٤)، وفي صحيح

(١) كتاب فضائل أصحاب النبي حديث رقم: ٣٦٥٠، (٣/٧) مع فتح الباري).

(٢) وتحديد ذلك إلى نهاية الدولة الأموية. وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بني العباس. قال الحافظ ابن حجر في تفسير هذا الحديث من (فتح الباري ج٦/٧): «اتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين - ممن يقبل قوله - من عاش إلى حدود سنة ٢٢٠هـ وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتنحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن (أي إلى زمن الحافظ ابن حجر ٧٧٣-٨٥٢) وظهر قوله ﷺ «ثم يفسو الكذب» ظهورًا بيّنًا حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات «محب».

(٣) انظر فتح الباري (٣/٧).

(٤) المسند (٣٧٨/١).

مسلم^(١)، وفي سنن الترمذي^(٢). وروى مسلم مثله في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها^(٣).

فأهدى كل الهدى، مما لن تر الإنسانية مثله - قبله ولا بعده - هو الذي تلقاه الصحابة عن معلم الناس الخير. وكان الصحابة به خير أمة أمجد ﷺ بشهادته هو لهم؛ وصدق رسول الله ﷺ أما الذين يدعون خلاف ذلك فهم الكاذبون.

إن الخير كل الخير فيما كان عليه أصحاب رسول الله. وإن الدين كل الدين ما اتبعهم عليه صالحوا التابعين، ثم مشى على آثارهم فيه التابعون لهم بإحسان^(٤).

(١) صحيح مسلم (١٩٦٣/٤) حديث رقم ٢٥٣٣، ومثله أيضاً عن أبي هريرة برقم: ٢٥٣٤.

(٢) سنن الترمذي كتاب المناقب، باب ما جاء في (فضل النبي ﷺ وصحبه ٦٩٤/٥) حديث رقم: ٣٨٥٨.

(٣) صحيح مسلم (١٩٦٥/٤) حديث رقم: ٢٥٣٦، ولمعرفة المزيد من تخريج هذا الحديث راجع المزي: تحفة الأشراف (٩١/٧) حديث رقم: ٩٤٠٣.

(٤) قال ﷺ فيما أخرجه الترمذي في سننه (٢٦/٥) ... «وتفتقر أمتي على ثلاث وسبعون ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»، وانظر لتخريج الحديث وتصحيحه سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رقم: ٢٠٣-٢٠٤، وقد نقل عن إمام دار الهجرة مالك ابن أنس رحمته العبارة المشهورة «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

قلت: فالمنهج الذي أخرجه من الظلمات إلى النور، هو الذي يحفظها ويصلح ما فسد من أمرها إلى قيام الساعة، لا منهج غيره ولا معه.

ومن أخط أكاذيب التاريخ زعم الزاعمين أن أصحاب رسول الله ﷺ كان يضمم العداوة بعضهم لبعض. بل هم كما قال الله سبحانه عنهم في [سورة الفتح: ٢٩]: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾ [الفتح: ٢٩]. وكما خاطبهم ربنا في [سورة الحديد: ١٠]: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠] ولا يخلف الله وعده. وهل بعد قول الله ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] يبقى مسلماً من يكذب ربه في هذا، ثم يكذب رسوله في قوله: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم؟!».

في صدر هذه الأمة حفظ الله كتابه بحفظته أميناً عن أمين، حتى أدوا أمانة ربهم بعناية لم يسبق لها نظير في أمة من الأمم، فلم يفرطوا في شيء من ألفاظ الكتاب على اختلاف الألسنة العربية في تلاوتها ونبرات حروفها، وتنوع مدودها وإمالاتها، إلى أدق ما يمكن أن يتصور المتصور. فتم بذلك وعد الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

جهود الصحابة والتابعين في حفظ السنة ونشر

الإسلام

ومن صدر هذه الأمة تفرغ فريق من الصحابة فالتابعين وتلاميذهم لحمل أمانة السنة، فكانوا يحصون أحاديث رسول الله ﷺ، ويذرعون أقطار الأرض

ليُدرِكوا الذين سمعوها من فم النبي ﷺ فيتلقوها عنهم كما يتلقون أثن كنوز الدنيا. بل كانت دار الإمارة في المدينة المنورة منتدى الفقهاء الأولين في صدر الإسلام يجتمعون إلى أميرهم مروان بن الحكم^(١)، فإذا عزيت إلى رسول الله ﷺ سنة غير الذي كان معروفًا عندهم أرسل مروان في تحقيق ذلك إلى من نسبت تلك السنة إليه من أصحاب النبي ﷺ أو أزواجه، حتى يرد الحق إلى نصابه (انظر مسند الإمام أحمد: الطبعة الأولى ٢٩٩/٦ - ٣٠٦)^(١).

^(١) تولى أمانة المدينة النبوية في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٢هـ، ثم عزله سنة ٤٩هـ، وولى مكانه سعيد بن العاص، ثم عزل سعيد بن العاص وأعاد مروان إلى أمانة المدينة سنة ٥٤هـ، ثم عزله في ذي القعدة من سنة ٥٨هـ، وولاه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. (تاريخ الطبري ١٧٢/٥، ٢٣٢، ٣٠٩).

^(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن هشام المخزومي قال: أجمع أبي على العمرة فلما حضر خروجه قال: أي بني، لو دخلنا على الأمير فودعناه. قلت: ما شئت. قال: فدخلنا على مروان وعنده نفر فيهم عبد الله بن الزبير، فذكروا الركعتين التي يصلها ابن الزبير بعد العصر، فقال له مروان: ممن أخذتها يا ابن الزبير؟ قال: أخبرني بهما أبا هريرة عن عائشة، فأرسل مروان إلى عائشة: ما ركعتان يذكرهما ابن الزبير أن أبا هريرة أخبره عنك أن رسول الله ﷺ كان يصليهما بعد العصر؟ فأرسلت إليه أخبرتني أم سلمة، فأرسل إلى أم سلمة: ما ركعتان زعمت عائشة أنك أخبرتيها أن رسول الله ﷺ كان يصليهما بعد العصر؟ فقالت: يغفر الله لعائشة، لقد وضعت أمري على غير موضعه، صلى رسول الله ﷺ الظهر وقد أتى بمال فقعد يقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر، فصلى العصر، ثم انصرف إلي وكان يومي، فركع ركعتين خفيفتين، فقلت: ما هاتان الركعتان يا رسول الله، أمرت بهما، قال: لا، ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر فشغلني قسم هذا المال حتى جاءني المؤذن بالعصر، فكرهت أن

وبينما كان حفظة القرآن وحملة السنة المحمدية يُجَاهِدُونَ فِي حِفْظِ أَصُولِ الشَّرِيعَةِ الْكَامِلَةِ، كَانَ آخَرُونَ مِنْ أِبْنَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَبْطَالِ التَّابِعِينَ يَحْمِلُونَ أَمَانَةَ الْإِمَامَةِ وَالرَّعَايَةَ وَالْجِهَادَ وَالْفَتْوحَ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى نَقْلِ الْأُمَّمِ إِلَى الْإِسْلَامِ، يُعَرِّبُونَ أَلْسِنَتَهَا، وَيُطَهِّرُونَ نَفُوسَهَا، وَيَسْلُكُونَهَا فِي سَلَكِ الْأَخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِتَتَعَاوَنَ مَعَهُمْ عَلَى تَوْحِيدِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَحْتَ رَايَةِ الْهُدَى، وَتَوْجِيهِهَا إِلَى أَهْدَافِ السَّعَادَةِ.

وقد بَارَكَ اللهُ لَهُوَلَاءَ وَأَوْلَئِكَ فِي أَوْقَاتِهِمْ وَأَتَمَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي مِائَةِ سَنَةٍ مَا يَسْتَحِيلُ عَلَى غَيْرِهِمْ - مِنْ أَهْلِ الطَّرَائِقِ وَالْأَسَالِيبِ الْآخَرَى - أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي آلَافِ السَّنِينَ.

هؤلاء هم الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ بأنهم خير أمته، وقد صح ما

أدعهما. فقال ابن الزبير: الله أكبر أليس قد صلاهما مرة واحدة والله لا أدعهما». وانظر قصة مشاهة أخرجها أحمد في مسنده (٣١١/٦) وسؤال معاوية ابن الزبير عن هاتين الركعتين، وانظر لهذه المسألة (فتح الباري ٦٤/٢ وما بعدها، و٣/١٠٥ وما بعدها، وسنن أبي داود ٥٤/٢).

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن شداد قال: سمعت أبا هريرة يحدث مروان قال: توضؤا مما مست النار، قال: فأرسل مروان إلى أم سلمة فسألها فقالت: نَحَسَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدِي كَتَفًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَمَسْ مَاءً». والوضوء مما مست النار وقع الخلاف فيه قديمًا بحسب ما رأى الصحابة من أحوال النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه (٢٧٢/١-٢٧٤) أحاديث في الأمر بالوضوء مما مست النار وأخرى في عدم الوضوء. قال النووي في شرح صحيح مسلم (٤٣/٤) بعد حكايته الخلاف في المسألة: ثم إن هذا الخلاف الذي حكيناه كان في الصدر الأول، ثم أجمع العلماء بعد ذلك على أنه لا يجب الوضوء بأكل ما مسته النار، والله أعلم. وانظر (فتح الباري ٣١١/١).

أخبر به ^(١)؛ فإن الإسلام إنما رأى الخير على أيديهم، فبهم حفظ الله أصوله، وبهم هدى الله الأمم.

والبلاد التي دخلت في الإسلام على أيديهم نبغ منها في ظلّ طريقتهم وعلى أساليبهم كبار الأئمة كالإمام البخاري والإمام أبي حنيفة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك ^(٢)، فكانت الأمم تقبل على هذه الهداية بشغف وتقدير وإخلاص - لما ترى من إخلاص دعاها وصدقهم وإيثارهم الآجلة على العاجلة - والأمة التي تولّت الدعاية لهذه الهداية تستقبل نوابغ المهتمدين بصدر رحب، وتبوء المتأهلين منهم المكانة التي هم أهل لها.

هكذا كانت الحال في البطون الثلاثة الأولى التي امتدحها رسول الله ﷺ ووصفها بأنها خير أمته. أما العصور التي أتت بعدهم فإن المسلمين يتميزون فيها بمقدار اتباعهم للمصدر الأول فيما كان عليه من حق وخير. وهم كما قال رسول الله ﷺ فيهم: «مثل أمتي مثل المطر: لا يُدرِي أوله خير أم آخره» ^(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه عن أنس، ورواه ابن حبان والإمام

(١) أي تحقق مصداق ذلك في الواقع.

(٢) مُجَدِّ بن إسماعيل البخاري، مولى بني جُعْف، (١٩٤-٢٥٦هـ) والنعمان بن ثابت أبو حنيفة، فارسي الأصل (٨٠-١٥٠هـ) والليث بن سعد عالم الديار المصرية في وقته، أصله فارسي كذلك (٩٤-١٧٥هـ)، وعبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن أصله تركي (١١٨-١٨١هـ) فكلهم موالي ولكن جمع بينهم الإسلام وصاروا شموساً وأعلاماً بهذا الدين المبارك، وأئمة يُقتدى بهم في العلم والعمل.

(٣) الحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: ٥٧٣٠، وكذا في تحقيقه لمشكاة المصابيح للتبريزي (١٧٧٠/٣) حديث رقم: ٦٢٧٧، وانظر تحريجه هناك.

أحمد في مسنده أيضاً من حديث عمار، ورواه أبو يعلى في مسنده عن علي بن أبي طالب، ورواه الطبراني في معجمه الكبير عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص، كل هؤلاء الصحابة روه عن النبي ﷺ. فامة مُجَّد إلى خير في كل زمان ومكان ما تحرَّت الطريق الذي مشى فيه هداة القرون الثلاثة الأولى وتابعوهم فيه. بل يُرجى لمن يقيم الحق في أزماننا كما أقامه الصحابة والتابعون في أزمنتهم أن يبلغوا منزلتهم عند الله ويعبدوا في طبقتهم، ولعلمهم المعينون بقول النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال: قال أبو عبيدة: «يا رسول الله أحد خير منا؟ أسلمنا معك، وجاهدنا معك» فقال ﷺ: «قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»^(١) وإسناده حسن. وصححه الحاكم.

واحتج الحافظ الأندلسي أبو عمر بن عبد البر بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار في الأرض، وصبرهم على الهدى وتمسكهم به، إلى أن عمَّ بهم في أرجائها. قال ابن عبد البر: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك^(٢). ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة أن

(١) قال الشيخ الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (١٧٧١/٣) أخرجه أحمد بإسنادين

أحدهما صحيح والأخر صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) انظر فتح الباري (٧/٦-٧).

النبي ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(١).

أثر الفرق في تشويه تاريخ الإسلام

ومن غربة الإسلام بعد البطون الثلاثة الأولى ظهور مؤلفين^(٢) شوّهوا

- (١) صحيح مسلم (١/١٣٠) برقم: ١٤٥-١٤٦، من حديث أبي هريرة وابن عمر.
- (٢) من أولئك رواة الروافض ومصنفيها الأوائل وبعض الكذبة والوضّاعين من أمثال:
- أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت ١٥٧هـ) راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣٠١/٧).
 - مُجَدِّد بن السائب الكلبي أبو هشام (ن ١٤٦هـ) وابنه هشام (ت ٢٠٤هـ) سير أعلام النبلاء (٦/٢٤٨ و ١٠/١٠٢).
 - عيسى بن يزيد بن بكر بن داب الليثي المدني (عاش في العصر العباسي الأول) (لسان الميزان ٤/٤٠٨).
 - شوكر، قال ابن شبة: شيعي كان يضع الأخبار والأشعار، ولهذا قال خلف الأحمر: أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب. (لسان الميزان ٣/١٥٨).
 - عمر بن سعد الأسدي (ت حوالي ١٨٠هـ) من شيوخ نصر بن مزاحم وأبي الفرج الأصبهاني في كتاب مقاتل الطالبين. (الميزان ٣/١٩٩).
 - نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) صاحب كتاب وقعة صفين (لسان الميزان ٦/١٥٧).
 - شعيب بن إبراهيم الكوفي، راوية كتب سيف بن عمر التميمي. قال ابن عدي: في مؤلفاته النكارة والتحامل على السلف. (لسان الميزان ٣/١٤٥).
 - إسحاق بن بشر البخاري أبو حذيفة (ت ٢٠٦هـ) رافضي مشهور، (الميزان

(١٨٤/١).

- العباس بن بكار الضبي (ت ٢٢٢هـ) صاحب كتاب الوافدين والوافدات من أهل البصرة على معاوية، غال في التشيع، (لسان الميزان ٢٣٧/٣).

- الحسن بن علي بن فضال الكوفي (ت ٢٢٤هـ) من مصنفى الشيعة، (لسان الميزان ٢٢٥/٢).

- أحمد بن محمد أبو إسحاق الهروي (ت ٢٣٤هـ) صاحب تاريخ هراه، كذبه الدارقطني، وروى نسجًا لا يتابع عليها. (لسان الميزان ٢٩١/١).

- سليمان بن داود بن بشر المنقري الشاذكوني (ت ٢٣٤هـ) قال الذهبي: أحد الهلكى، (سير أعلام النبلاء ٦٧٩/١٠).

- أحمد بن ثابت الرازي المعروف بفرخوية (عاش في القرن الثالث) وهو من شيوخ الطبري في كتاب التاريخ. (الجرح والتعديل ٤٤/٢).

- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) صاحب كتاب الأخبار الطوال، (سير أعلام النبلاء ٤٢٢/٣).

- إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣هـ) كان غالبًا في الرفض، (لسان الميزان ١٠٢/١).

- يعقوبي أحمد بن إسحاق بن واضح (ت ٢٨٤هـ) صاحب تاريخ يعقوبي، مؤرخ شيعي إمامي كما هو ظاهر من كتابه (معجم الأدياء ١٥٣/٥).

- محمد بن يزيد المبرد الأديب (ت ٢٨٥هـ) صاحب كتاب الكامل، يجمع كأمثاله من أهل الأدب الأخبار والنوادر والتي يغلب على كثير منها التزويد والتحسين، (تهذيب التهذيب ١٥٣/٣).

- أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) صاحب كتاب الفتوح شيعي غال، (لسان الميزان ١٣٨/١) وانظر كتاب ابن أعثم الكوفي ومنهجه للدكتور محمد جبر أبو سعده.

- المسعودي علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) صاحب كتاب مروج الذهب وغيره، وكتبه طافحة بأنه كان شيعيًا معتزليًا، (لسان الميزان ٢٢٤/٤).

التاريخ تقرباً للشيطان أو الحكام؛ فزعموا أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا إخواناً في الله، ولم يكونوا رحماء بينهم، وإنما كانوا أعداء يلعن بعضهم بعضاً، ويمكر بعضهم ببعض، وينافق بعضهم لبعض، ويتآمر بعضهم على بعض، بغياً وعدواناً.

لقد كذبوا. وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أسمى من ذلك وأنبئ، وكانت بنو هاشم وبنو أمية أوفى من ذلك لإسلامهما ورحمهما وقربتهما وأوثق صلة وأعظم تعاوناً على الحق والخير.

حدثني بعض الذين لقيتهم في ثغر البصرة لما كنت معتقلاً في سجن الإنجليز سنة ١٣٣٢ هـ أن رجلاً من العرب يعرفونه كان ينتقل بين بعض قرى إيران فقتله القرويون لما علموا أن اسمه (عمر). قلت: وأي بأس يروونه باسم (عمر)؟ قالوا: حباً بأمر المؤمنين علي. قلت: وكيف يكونون من شيعة علي وهم يجهلون أن علياً سمي أبناءه بعد الحسن والحسين ومُحَمَّد بن الحنفية بأسماء أصدقائه وإخوانه في الله (أبو بكر) و (عمر) و (عثمان)^(١) رضوان الله عليهم جميعاً، وأم كلثوم الكبرى بنت علي بن أبي طالب كانت زوجة لعمر بن الخطاب ولدت له زيداً ورقية^(٢)، وبعد مقتل عمر تزوجها ابن عمها مُحَمَّد بن جعفر بن أبي طالب ومات عنها فتزوجها بعده أخوه عون بن جعفر فماتت

(١) انظر مصعب الزبيري، نسب قريش (ص ٤٢-٤٣) المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين (ص ١١٤).

(٢) نسب قريش (٣٤٨/٤١) والتبيين (١١١-١١٢).

عنده (١).

وعبد الله بن جعفر ذي الجناحين ابن أبي طالب سمى أحد بنيه باسم (أبي بكر) وسمى ابناً آخر له باسم (معاوية) (٢)، ومعاوية هذا أي ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سمى أحد بنيه باسم (يزيد) (٣) وعمر بن علي بن أبي طالب كان من نسله عيسى بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عمر بن علي بن أبي طالب اشتهر بالمبارك العلوي وكان يكنى (أبا بكر) (٤).

والحسن السبط بن علي بن أبي طالب سمى أحد بنيه (أبا بكر) وآخر باسم (عمر) وثالثاً باسم (طلحة) (٥).

وزين العابدين علي بن الحسين سمى أحد أولاده باسم أمير المؤمنين (عمر تيمناً وتبركاً) (٦).

ولعمر هذا ذرية مباركة منهم العلماء والشعراء والشرفاء والحسن السبط كان مصاهرًا لطلحة بن عبيد الله (٧). وإن أم إسحاق بنت طلحة هي أم فاطمة

(١) التبيين في أنساب القرشيين (٩٨، ١١١).

(٢) نسب قريش ٨٣ والتبيين (ص ٩٦).

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب (ص ٦٨) وذكر من ولد عبد الله ابن جعفر يزيد.

(٤) نسب قريش (ص ٨٠) وجمهرة أنساب العرب (ص ٦٦) وقال: أبو بكر بن عيسى بن عبد الله كان شاعرًا راوية.

(٥) نسب قريش (ص ٥٠) وجمهرة أنساب العرب (ص ٣٨) وفيها «عمرو».

(٦) نسب قريش (ص ٦١) والجمهرة (ص ٥٣).

(٧) نسب قريش (ص ٥٠) والجمهرة (ص ٣٩) واسمها أم إسحاق بنت طلحة ابن عبيد الله.

بنت الحسين بن علي^(١).

وسكينة بنت الحسين السبط كانت زوجًا لزيد بن عمر ابن عثمان بن عفان الأموي. وعقد لها قبله على الأصبع ابن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي^(٢).

وأختها فاطمة بنت الحسين السبط بن علي بن أبي طالب كانت زوجة عبد الله الأكبر بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت قبل ذلك زوجة الحسن المثنى^(٣)، وله منها جدُّنا عبد الله المحض^(٤).

وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر ذي الجناحين بن أبي طالب كانت زوجة لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ثم تزوجها علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب^(٥).

وأم كلثوم بنت جعفر ذي الجناحين كانت زوجة للحجاج ابن يوسف وتزوجها بعد ذلك أبان بن عثمان بن عفان^(٦).

(١) تزوجها الحسين بعد أخيه الحسن فأنجب منها ابنته فاطمة. انظر نسب قريش (ص ٥٩).

(٢) انظر نسب قريش (ص ٥٩).

(٣) يعني الحسن بن الحسن بن علي وانظر نسب قريش (ص ٥٩).

(٤) يشير محب الدين الخطيب إلى أنه من نسل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي من فاطمة بنت الحسين بن علي، ولقب بالملخض أي الخالص في نسبه فهو علوي الأب والأم. وانظر نسب قريش (ص ٥١).

(٥) نسب قريش (ص ٨٣).

(٦) الصواب: أن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر وأمها زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله وقد تزوجت مرارًا وابن بجدتها هو القاسم بن محمد بن جعفر

والسيدة نفسية المدفونة في مصر (وهي بنت حسن الأنور ابن زيد بن الحسن السبط) كانت زوجة لأmir المؤمنين الوليد بن عبد الملك وولدت له^(١).
وعلي الأكبر بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب أمه ليلى بنت مرة بن مسعود الثقفي وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب الأموي^(٢).
والحسن المثنى بن الحسن السبط أمه خولة^(٣) بنت منظور الفزارية وكانت زوجة لمحمد بن طلحة بن عبيد الله^(٤)، فلما قتل عنها يوم الجمل ولها منه أولاد تزوجها الحسن السبط فولدت له الحسن المثنى.

وتزوجها الحجاج بن يوسف عندما كان والياً على المدينة ومكة لعبد الملك بن مروان فأمره عبد الملك بطلاقها، فطلقها. انظر نسب قريش (ص ٨٢) وجمهرة أنساب العرب (ص ٦٨).

^(١) انظر ترجمتها في وفيات الأعيان (٤٢٣/٥) وسير أعلام النبلاء (١٠٦/١٠) والبداية والنهاية (٢٦٢/١٠) وكانت وفاتها سنة ٢٠٨هـ، وهذا وهم من المؤلف رحمته أو لعل في الكلام سقطاً فإن التي تزوجها الوليد بن عبد الملك وهو خليفة هي زينب بنت حسن بن حسن بن علي كما في نسب قريش (ص ٥٢) وجمهرة أنساب العرب (ص ٤٢) وكانت أختها أم القاسم عند مروان بن أبان بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وخلافة الوليد كانت من (٨٦-٩٦هـ).

^(٢) انظر الطبقات الكبرى الطبقة الخامسة من الصحابة (٣٧٠/١) ونسب قريش (ص ٥٧) وفيها: بنت أبي مرة بن مسعود الثقفي.

^(٣) الطبقة الخامسة من الصحابة (٢٢٥/١) ونسب قريش (ص ٤٦) وجمهرة أنساب العرب (ص ٣٨).

^(٤) نسب قريش (ص ٤٦).

وميمونة بنت أبي سفيان بن حرب^(١) جدة علي الأكبر ابن الحسين بن علي لأمه.

ولما توفيت فاطمة بنت النبي ﷺ تزوج علي بعدها أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية^(٢).

فهل يعقل أن هؤلاء الأقارب المتلاحمين المتراحمين الذين يتخبرون مثل هذه الأمهات لأنسألمهم، ومثل هذه الأسماء لفلذات أكبادهم، كانوا على غير ما أراده الله لهم من الأخوة في الإسلام، والمحبة في الله، والتعاون على البر والتقوى؟!!

لقد تواتر عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه^(٣) أنه كان يقول على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» روى هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً^(٤)، ورواه البخاري وغيره^(١)، ولا يوجد تاريخ في الدنيا، لا

(١) انظر نسب قريش (ص ١٢٦).

(٢) أمامة هذه أمها زينب بنت رسول الله و جدتها من جهة أمها خديجة بنت خويلد ومن جهة أبيها هالة بنت خويلد نسب قريش (ص ٢٣٠) وانظر ترجمتها في الإصابة (٥٠١/٧).

(٣) تخصيص علي ﷺ بهذا الوصف والدعاء لا دليل عليه، ولا نازع في تكريم الله له ولا نشك أو نتوقف في ذلك، لكن التخصيص له بهذا دون بقية الأصحاب هو المشكل، وهو من شعار أهل البدع والأهواء. راجع تفسير ابن كثير عند قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وانظر: بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية (ص ٢١٢).

(٤) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب: منهاج السنة النبوية (٣٠٨/١) تحقيق: محمد رشاد سالم.

تاريخ الإسكندر المقدوني^(٢)، ولا تاريخ نابليون^(٣)، صحت أخباره كصحة هذا القول - من الوجهة العلمية التاريخية - عن علي بن أبي طالب. وكان كرم الله وجهه يقول: «لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري»^(٤) أي أن هذه الفرية توجب على صاحبها الحد الشرعي، ولهذا كان الشيعة المتقدمون متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر.

نقل عبد الجبار الهمداني^(٥) في كتاب (تثبيت النبوة) أن أبا القاسم (نصر

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٢٠/٧) من فتح الباري) وأخرجه أحمد في مسنده في مواضع انظر منها (١٨٥/٢) حديث رقم: ٩٣٢-٩٣٥، تحقيق: أحمد شاکر وقد حكم بصحتها جميعاً.

(٢) الإسكندر بن فيليب المقدوني ولد سنة ٣٥٦ ق.م وتولى حكم اليونان بعد والده سنة ٣٣٦ ق.م وكانت له فتوحات واسعة شملت حوض البحر الأبيض المتوسط وأرض فارس كلها ووصلت إلى الهند ومات سنة ٣٢٣ ق.م. انظر جمال عبد الهادي، أوربا منذ أقدم العصور (اليونان/ ١١٣).

(٣) نابليون بن شارل بونابرت ولد سنة ١٧٦٩م نشأ محباً للجندي فادخله والده المدرسة الحربية في باريس وتخرج منها سنة ١٧٨٥م وعين ملازماً في الجيش الفرنسي، وقد عاصر الصورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م. وترقى أمره حتى صار القنصل الأول، ثم امبراطوراً، وشقَّ حروباً داخل أوربا سيطر فيها على معظمها، ثم وصل الحال به إلى أن عزل ونفي سنة ١٨١٥م ومات سنة ١٨٢١م (مُجد قاسم، وأحمد نجيب هاشم، التاريخ الحديث والمعاصر (٩١-٥٧) ط: دار المعارف.

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (٣٠٨/١).

(٥) عبد الجبار الهمداني، شيخ المعتزلة، في عصر تولى قضاء الرى وقزوين لفخر الدولة ابن بويه، وكان شافعيًا في الفروع ومعتزليًا في الأصول قال الذهبي: «صنف دلائل النبوة

بن الصباح البلخي^(١) قال في: (كتاب النقض على ابن الراوندي): سأل سائل شريك بن عبد الله فقال له: أيهما أفضل: أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي؟ فقال له: نعم: من لم يقل هذا فليس شيعياً. والله لقد رقى هذه الأعواد عليّ فقال: «ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» فكيف نرد قوله؟ وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذاباً^(٢).

وفي ترجمة يحيى بن يعمر العدواني من (وفيات الأعيان) للقاضي بن خلكان أن يحيى بن يعمر كان عداده في بني ليث لأنه حليف لهم، وكان شيعياً من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم. ثم ذكر قصة له مع الحجاج، وإقامته الحجة على أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله بآية: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ [الأنعام: ٨٤] أي لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٥]^(٣). قال يحيى بن يعمر: وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن

فأجاد فيه وبرز» ومات سنة ٤١٥ هـ (ابن حجر، لسان الميزان ٣/٣٨٦) وانظر النص في تثبيت دلائل النبوة (١/٥٤٩) مع اختلاف يسير.

^(١) لم أفق عليه بهذا الاسم (نصر بن الصباح) ولم يذكر هذا الاسم ابن تيمية، ولا الهمداني، وإنما هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي رأس طائفة من المعتزلة، سكن بغداد ثم عاد إلى بلخ وبها مات سنة ٣١٩ هـ انظر: (ابن النديم، الفهرست ٢١٩، وتاريخ بغداد ٩/٣٨٤ ووفيات الأعيان ٣/٤٥).

^(٢) ذكر ذلك ابن تيمية في منهاج السنة (١/١٣-١٥).

^(٣) الآيتان من سورة الأنعام: (٨٤-٨٥) قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا

والحسين ومُحَمَّد ﷺ، فأقره الحجاج على ذلك وكبر في نظره وولاه القضاء على خراسان مع علمه بتشييعه^(١). وأنت تعلم أن الحجاج هو ما هو، ومع ذلك فقد كان - مع فاضل متجاهر بشييعته المعتدلة محتج للحق بالحق - أكثر إنصافاً من هؤلاء الكذبة الفجرة الذين جاءوا في زمن السوء، فصاروا كلما تعرضوا لأهل السابقة والخير في الإسلام، ومن فُتحت أقطار الأرض على أيديهم، ودخلت الأمم في الإسلام بسعيهم ودعوتهم وبركتهم، وكلهم من أهل خير القرون بشهادة رسول الله ﷺ لهم، وما منهم إلا من يتصل ببني هاشم وآل البيت بالخوولة أو الرحم أو المصاهرة؛ وبالرغم من كل ذلك يتعرضون لسيرتهم بالمساءة كذباً وعدواناً، ويرضون لأنفسهم بأن يكونوا أقل إنصافاً وإذعاناً للحق حتى من الحجاج بن يوسف، وإني أخشى عليهم لو أنهم كانوا في مثل مركز الحجاج بن يوسف لكانت فيهم كل مآخذ الصالحين عليه^(٢)، مع التجرد من كل مزاياه وفضائله وفتوحه التي بلغت تحت رايات كبار قواده

هَدَيْتَنَا وَنُوْحًا هَدَيْتَنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَرِبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٥] وقال ابن خلكان: وهذا من الاستنباطات البديعية الغريبة العجيبة.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (١٧٤/٥)، وذكر أن وفاة يحيى بن يعمر هذا كانت سنة تسع وعشرين ومائة. وذكر صاحب البداية والنهاية (٧٣/٩) أنها سنة سبع وثمانين ومائة وقال الذهبي في السير (٤٤٣/٤) توفي قبل التسعين، أي ومائة.

(٢) راجع ترجمة الحجاج في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣٤٣/٤) وابن كثير، البداية والنهاية (١١٧/٩-١٣٩).

وصغارهم إلى أقصى أقطار السند، وغشيت جبال الهند وما صاقبها. وإن خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في نعت صديقه وإمامه، خليفة رسول الله أبي بكر يوم وفاته من بليغ ما كان يستظهره الناس في الأجيال الماضية^(١). وفي خلافة عمر دخل علي في بيعته أيضاً وكان من أعظم أعوانه على الحق، وكان يذكره بالخير ويثني عليه في كل مناسبة، وقد علمت أنه بعد أخيه وصهره عمر سمى ولدين من أولاده باسميهما ثم سمى ثالثاً باسم عثمان^(٢) لعظيم مكانته عنده، ولأنه كان إمامه ما عاش، ولولا أن عثمان - بعد أن أقام الحجة على الذين ثاروا عليه بتحريض أعداء الله رجال ابن سبأ اليهودي - منع الصحابة من الدفاع عنه حقناً لدماء المسلمين، وتضييقاً لدائرة الفتنة، ولما يعلمه من بشارة رسول الله ﷺ له بالشهادة والجنة^(٣)، لولا كل ذلك لكان علي في مقدمة من في المدينة من المهاجرين والأنصار الذين كانوا كلهم على استعداد للدفاع عنه ولو ماتوا في سبيل ذلك جميعاً. ومع ذلك فإن علياً جعل ولديه الحسن والحسين على باب عثمان، وأمرهما بأن يكونا طوع وإشارة في كل ما يأمرهما به ولو أدى ذلك إلى سفك دمهما، وأوعز إليهما بأن يخبرا أباهما

(١) انظر: البداية والنهاية (٦/٣٠٢).

(٢) سبق في (ص ٣٢).

(٣) راجع حول هذه المسألة: د/ سليمان العوده: ابن سبأ، ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام نشر دار طيبة بالرياض، ومُجد بن عبد الله الغبان: فتنة مقتل عثمان بن عفان، رسالة غير منشورة في الجامعة الإسلامية. وانظر كتاب الشريعة للإمام الآجري (١٩٨٠/٤) تحقيق: د/ عبد الله بن عمر الدميحي.

بكل ما يجب عثمان أن يقوم له به ^(١).
وكذب على الله وعلى التاريخ كل ما اخترعه الكاذبون مما يخالف ذلك
ويناقض وقوف الحسن والحسين في بابهِ واستعداهما لطاعته في كل ما يأمر.
وقد كان من عادة سلفنا أن يدوّنوا أخبار تلك الأزمان منسوبة إلى رواتها،
ومن أراد معرفة قيمة كل خبر على طريقة (أني لك هذا؟) فرجع إلى ترجمة كل
راوٍ في كل سند لتمعّصت له الأخبار، وعلم أن الأخبار الصحيحة التي يرويها
أهل الصدق والعدالة هي التي تثبت أن أصحاب رسول الله كانوا كلهم من
خيرة من عرفت الإنسانية من صفوة أهلها، وأن الأخبار التي تشوه سيرة
الصحابة وتوهم أنهم كانوا صغار النفوس هي التي رواها الكذبة من الجوس
واليهود الذين تسموا بأسماء المسلمين ^(٢).

الدعوة إلى كتابة تاريخ المسلمين

من ينابيعه الصافية

ولعلك تسألني إذن ما هو أصل التشيع، وهل لم يكن لعلي شيعه في
الصدر الأول؟ وما هي وقعة الجمل، وما الباعث على وقوعها؟ وما هي حقيقة

^(١) انظر: خبر ذلك في المصنف لابن أبي شيبة (٢٢٤/١٥) بإسناد حسن. وترجمة عثمان
من تاريخ ابن عساکر (ص ٣٧٤) بإسناد حسن. وخليفة ابن خياط: التاريخ (ص ١٧٤)
بإسناد صحيح إلى محمد بن سيرين.

^(٢) سبق الإشارة إلى بعض الرواة الكذبة من الروافض وغيرهم.

التحكيم؟.

إن الجواب على هذه الأسئلة بالأسانيد التي ترتاح إليها قلوب المنصفين مهما اختلفت مشاربهم ومذاهبهم، يحتاج إلى كتابة تاريخ المسلمين من جديد، وإلى أخذه - عند كتابته - من ينابيع الصافية^(١)، ولا سيما في المواطن التي

(١) ما دعا إليه الأستاذ محب الدين الخطيب رحمته من العودة إلى الينابيع الصافية من أصول تاريخ الأمة الإسلامية، واستخدام المنهج العلمي السليم ونقد الروايات بمعرفة رواتها ووزنهم بميزان الجرح والتعديل تحقق منه والله الحمد الكثير في هذه النهضة العلمية المباركة في عصرنا الحاضر، وإليك جملة من الرسائل العلمية والأبحاث الجادة في تاريخ الصدر الأول:

- ١- مُجَدِّد الصادق عرجون: عثمان بن عفان.
- ٢- مُجَدِّد الصادق عربون: خالد بن الوليد.
- ٣- سليمان بن حمد العودة: ابن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام.
- ٤- مُجَدِّد ضيف الله بطاينه: الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام.
- ٥- جميل عبد الله المصري: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري.
- ٦- جميل عبد الله المصري: دواعي الفتوحات الإسلامية.
- ٧- أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة.
- ٨- يحيى بن إبراهيم اليحيى: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (عصر الخلافة الراشدة دراسة نقدية).
- ٩- يحيى بن إبراهيم اليحيى: الروايات التاريخية في فتح الباري (عصر الخلافة الراشدة والدولة الأموية، جمعًا وتوثيقًا).
- ١٠- مُجَدِّد بن عبد الله الغبان: فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه.
- ١١- د/ عبد الله بن عمر الدميحي: الإمامة العظمة عند أهل السنة والجماعة.
- ١٢- د/ ناصر بن علي الشيخ: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة.
- ١٣- د/ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة.

- ١٤- عبد العزيز بن عبد الرحمن العجلان: أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم (ماجستير في جامعة الإمام).
- ١٥- خالد بن مُجَدِّ الغيث: إستشهاد عثمان رضي الله عنه وموقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري. دراسة نقدية.
- ١٦- خالد بن مُجَدِّ الغيث: مرويات خلافة معاوية رضي الله عنه في تاريخ الطبري، دراسة نقدية مقارنة.
- ١٧- عبد الله بن مُجَدِّ علي حيدر: مرويات ابن إسحاق في تاريخ الطبري عن مقتل عثمان ومعركة الجمل، دراسة نقدية (ماجستير جامعة أم القرى).
- ١٨- عبد العزيز بن سليمان السلومي: مرويات عوانة بن الحكم في تاريخ الطبري دراسة نقدية (ماجستير في الجامعة الإسلامية).
- ١٩- سعد بن موسى الموسى: النصوص التاريخية في مسند الإمام أحمد (عصر الخلافة الراشدة) دكتوراه في جامعة أم القرى.
- ٢٠- مُجَدِّ أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، سنة ١٩٨٩م.
- ٢١- مُجَدِّ بن عبد الهادي الشيباني: مواقف المعارضة من خلافة يزيد ابن أبي سفيان، دراسة نقدية للروايات (ماجستير في الجامعة الإسلامية).
- ٢٢- عبد الله بن عثمان الخراشي: ابن الزبير والأمويون (ماجستير في جامعة الملك سعود).
- ٢٣- عبد العزيز عمر البيتي: ابن أعثم الكوفي، منهجه وموارده في خلافة الصديق في كتاب الفتوح (ماجستير بالجامعة الإسلامية).
- ٢٤- عبد الحميد علي الفقيهي: خلافة علي بن أبي طالب من خلال كتب السنة والتاريخ، دراسة نقدية للروايات (ماجستير في الجامعة الإسلامية).
- ٢٥- مُجَدِّ مُجَدِّ العواجي: خلافة عثمان رضي الله عنه باستثناء الفتنة من خلال كتب السنة

شوهها أهل الذمم الخربة من ملفقي الأخبار. وأعيد هنا ما قلته غير مرّة، وهو أن الأمة الإسلامية أغنى أمم الأرض بالمادة السليمة التي تستطيع أن تبني بها كيان تاريخها، إلا أنّها لا تزال أقل أمم الأرض عناية ببناء تاريخها من تلك المواد السليمة.

والناس الآن بين قارئ لكتب قديمة أراد مؤلفوها أن يتداركوا الأخبار قبل ضياعها فجمعوا فيها كل ما وصلت إليه أيديهم من غث وسمين، منبهين على مصادر هذه الأخبار وأسماء رواّتها ليكون القارئ على بينة من صحيحها وسقيمها^(١)، ولكن لبعد الزمن وجهل أكثر القراء بمراتب هؤلاء الرواة ودرجاتهم في الصدق والكذب، وفي الوفاء للحق أو الميل مع الهوى، تراهم لا يستفيدون من هذه المصادر، ولا من الكتب التي اعتمدت عليها بلا تمحيص وتحقيق^(٢).

والتاريخ، دراسة نقدية للروايات (ماجستير من الجامعة الإسلامية).

٢٧- عبد العزيز محمد نور ولي: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري.

٢٨- عبد السلام محسن آل عيسى: المرويات الواردة في شخصية عمر وسياسته الإدارية، دراسة نقدية للروايات (دكتوراه بالجامعة الإسلامية).

(١) يقصد رحمته الكتب التي تروي الأخبار مسندة مثل طبقات ابن سعد، وتاريخ خليفة بن خياط، وتاريخ الطبري وأمثالهم ممن يروي بالإسناد، فإن العمد في هذا على الإسناد، وهو منهج مسلوک ومتبع في عصرهم ولا يقدر في مكانتهم العلمية ذكرهم أخباراً واهية وضعيفة. وهم، لم يكونوا غافلين عنها وإنما ذكروها بأسانيدها لتعرف.

(٢) ومن أهم هذه المصادر تاريخ ابن جرير الطبري، وقد كتبت في وصفه وتحليله مقالة في المجلد ٢٤ من (مجلة الأزهر، ٢١٠-٢١٥) فارجع إليها لتستفيد من هذه المصادر ولتعرف ما تأخذ وما تدع «محب».

وهنالك كتب قديمة أيضاً ولكنها دون هذه الكتب^(١)، لأن أصحابها من أهل الهوى، وومن لهم صبغات حزبية يصبغون أخبارهم بألوانها، فهي أعظم ضرراً، ولعلها أوسع من تلك انتشاراً^(٢). أما الكتب الحديث كمؤلفات جرجي زيدان، والبحوث التي يستقيها حملة الأقلام من مؤلفات المستشرقين على غير بصيرة بدسائسهم^(٣)، فإنه ثالثة الأثافي وعظيمة العظائم، ولذلك باتت هذه الأمة محرومة أغزر ينابيع قوتها وهو الإيمان بعظمة ماضيها، في حين أنها سليله سلف لم ير التاريخ سيرة أظهر ولا أبحر ولا أزهر من سيرته.

دور علماء الحديث في رسم

منهج نقد الرواة والروايات

إلا أن من نعم الله علينا عناية علماء الحديث بتحقيق أحوال رواة الأخبار ومبلغ أمانتهم في حملها، وقد صنفوا في ذلك كتباً ومعاجم عظيمة النفع لمن يراجعها عند التأليف، ولهم تحقيقات جلييلة في جميع المسائل التي يترتب عليها

(١) أي في الرتبة والمنزلة.

(٢) أي في العصر الحاضر لعناية بعض الناس بنشرها وتكرار طباعتها. مثل: وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وتاريخ اليعقوبي، ومروج الذهب للمسعودي، والإمامة والسياسة المنسوب كذباً لابن قتيبة، في أشباهها والله المستعان.

(٣) وهي كثيرة يصعب حصرها ومنها مؤلفات أحمد أمين، وطه حسين ومُجد حسين هيكل، وبعض أساتذة الجامعات المتأثرين بالفكر الاستشراقي.

اتجاه الحق في الحكم على الأحداث الكبرى في تاريخ صدر الإسلام. ومع أن كثيراً من أمهات الكتب النفيسة فقدت في كارثة هولوكو^(١)، ثم في الحروب الصليبية واكتساح الأندلس، وما تلا ذلك كله من انحطاط المستوى العلمي في القرون الأخيرة، إلا أن كثيراً من تحقيقات المحققين لا تزال منبثة في مطاوى الكتب الإسلامية^(٢). والأمل عظيم في قيام نهضة جديدة لبعض ماضي هذه الأمة المجيد على ضوء ما تركه علماءؤها من نصوص وتوجيهات.

الرد على مزاعم الشيعة

وأعود بعد هذا إلى الأسئلة التي تقدمت آنفاً عن أصل الفتن والشيعة، فقد زعم الزاعمون لعلي كرم الله وجهه ما لم يكن له علم به: زعموا أن النبي ﷺ عينه للخلافة بعده يوم استخلفه على المدينة وهو متجه إلى الشام في غزوة تبوك، وقال له يومئذ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». ورجال الحديث مختلفون في درجة هذا الخبر من الصحة، فبعضهم يراه صحيحاً، وبعضهم يراه ضعيفاً، وذهب الإمام أبو الفرج بن الجوزي إلى أنه

(١) الذي كان ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) من أعوان الخائن ابن العلقمي (ت ٦٥٦هـ) علي تمهيد السبيل بين يديه لتقويض دولة الإسلام «محب».

(٢) من أمثال ابن العربي في العواصم من القواصم، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه، ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، ومن بعدهم الحافظ ابن حجر العسقلاني.

موضوع مكذوب^(١). ونحن إذا رجعنا إلى الظروف التي قالوا إنها لا بست هذا الحديث نرى أن النبي ﷺ - لما أراد الله له أن يتوجه نحو تبوك - أمر عليًا بأن يتخلف في المدينة، وكان رجالها والقادرون على الحرب من الصحابة قد خرجوا مع النبي ﷺ، فوجد علي في نفسه وقال للنبي ﷺ: أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفة!« فقال له النبي ﷺ تطيباً لنفسه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» أي في استخلاف موسى أخاه هارون لما ذهب إلى الجبل ليعود بالألواح. فهذا الاستخلاف لم يكن له في نظر سيدنا علي كرم الله وجهه هذا المعنى الوهمي الذي اخترعه المتحزبون فيما بعد، بل هو على عكس ذلك كان يراه حرماناً له من مكانة أعلى وهي مشاركة إخوانه الصحابة في ثواب الجهاد لتكوين الكيان الإسلامي المنشود. زد على ذلك أن هذا النوع من

(١) الحديث صحيح أخرجه البخاري (٧١/٧ مع فتح الباري) ومسلم (٤/٤ / ١٨٧١) برقم: ٢٤٠٤، وغيرهما من أصحاب السنن من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، ولا مطعن في الحديث بهذا النص، ولا دليل للرافضة فيما ذهبوا إليه في الاحتجاج به وانظر ذلك مفصلاً في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٥٠١، ٤/٣٧١)، وفتح الباري (٧٤/٧) ولم يذكر ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، وإنما ذكر في كتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/٢٢٨) برقم: ٣٥٩، من طريق أبي بكر بن أبي الأزهر من حديث جابر ﷺ رواية للحديث فيها زيادة منكرة وهي قوله: ولو كان لكنته، ونقل قول الخطيب: هذه الزيادة - ولو كان لكنته - لا نعلم رواها إلا ابن أبي الأزهر وكان غير ثقة، يضع الأحاديث على الثقافات. اهـ. قلت: وما ذكره الأستاذ محب الدين من إطلاق الوضع على الحديث دون تفصيل ليس بجيد وربما حصل له وهم في ذلك فظن أن ابن الجوزي جعله موضوعاً بكاملة، والله أعلم.

الاستخلاف لم ينفرد به علي كرم الله وجهه، بل تكرر من النبي ﷺ استخلاف ابن أم مكتوم على المدينة نفسها^(١) وكان ابن أم مكتوم يتولى الإمام بالناس في المدينة مدة خلافته عليها.

وقد ناظر كبار الشيعة في هذا الحديث علامة العراق السيد عبد الله السويدي^(٢) عندما جمعه بهم نادرشاه^(٣) في النجف سنة ١١٥٦هـ فأفحمهم

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٢٠٥/٤) والإصابة (٦٠٠/٤) وقد ذكرا أن النبي ﷺ استخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة.

(٢) عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي أبو البركات السويدي فقيه متأدب من أعيان العراق ولد سنة ١١٠٤هـ وتوفي سنة ١١٧٤هـ رحل إلى بلاد الحجاز والشام، ثم عاد إلى بغداد، له مؤلفات، منها: شرح صحيح البخاري، المحاكمة بين الدماميني والشمسي، والحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية والذي طبعه محب الدين الخطيب سنة ١٣٦٧هـ، بعنوان مؤتمر النجف، وهو مستخرج من كتاب رحلة إلى مكة والتي بعنوان: النفحة المسكية في الرحلة المسكية. وقد أثنى عليه السيد محمود شكري الألوسي بقوله: شيخ البسيطة على الإطلاق، وزين الشريعة بالإجماع والاتفاق.

انظر الأعلام للزركلي (٨٠/٤) ومقدمة محب الدين الخطيب لرسالة مؤتمر النجف. (٣) نادرشاه، أحد قادة الدولة الصفوية الشيعية، واستطاع في وقت ضعف الدولة أن يستولي على الحكم ويسقط الأسرة الصفوية سنة ١١٤٥هـ ويوسع رقعة الدولة في الهند وبلاد ما وراء النهر، وكردستان، والعراق، وأعلن نفسه شاهنشاه سنة ١١٤٨هـ وحاول أن يجمع أهل دولته على مذهب واحد، فعقد مؤتمرًا في النجف سنة ١١٥٦هـ حضره علماء الشيعة، وعلماء الأفغان، وعلماء ما وراء النهر، وجعل عبد الله السويدي حكمًا في المناظرة، فجمعهم على الاتفاق على منع سب الصحابة، وأن الخلفاء الراشدين الأربعة هم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، وتحريم المتعة وخطب بذلك يوم الجمعة

السويدي وخذل باطلهم كما ترى ذلك فيما دونه رحمته بقلمه عن هذه الواقعة وأثبتناه في رسالة طبعناها بعنوان (مؤتمر النجف).

فالإمام علي كرم الله وجهه كان يعلم أن الخلافة الحقة هي التي انضوى فيها إلى إجماع إخوانه أصحاب رسول الله يوم قدر الله له بحكمته ما شاء، وقضى فيها بعدله ما أراد. وما كان لمسلم من عامة المسلمين - فضلاً عن مثل علي في عظيم مكانته في الأولين والآخرين - إن يسخط قدر الله، أو يتمرد على قضائه، أو يرضى غير الذي ارتضاه إخوانه من الصحابة، أو يداجي في إجماعه معهم على ما فيه صلاح المسلمين. ومن الافتئات عليه والانتقاص من قدره، والتشويه لجمال الإسلام وتاريخه، الشك في إخلاص علي أو في اغتباطه بما بايع عليه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر الصديق وصاحبيه بعده عمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين.

نظر الصحابة إلى الخلافة وميزاتهم

١- ومن المزايا التي تفرد بها علي وطبقته ممن ولى الخلافة أو دخل في بيعتها في الصدر الأول أنهم كانوا يرون ولاية هذا الأمر (واجباً) يقوم به الواحد منهم إذا وجب عليه كما يقوم بسائر واجباته، ولا يرونها (حقاً) لأحدهم يعادى عليه المسلمين، ويعرض دماءهم للخطر والشر،

٢٦ شوال سنة ١١٥٦هـ على منبر الكوفة وبحضور نادرشاه والعلماء المذكورين. (مؤتمر النجف لعبد الله السويدي ص ١٠٢-١٠٤).

ليستأثر بها على غيره.

وجميع الوقائع - إذا جردت من زيادات أهل الأهواء - تدل على هذه المكانة السامية لعلي وإخوانه، فلما شوهت الوقائع وأخبارها بما دسَّه فيها المتزيدون من أكاذيب لا مصلحة فيها لعلي وآله، كانت بها لعلي وبنيه صورة قبيحة لا تنطبق على الحقيقة والواقع، وظن المخدوعون بها أن تلك الطبقة - الممتازة على جميع أمم الأرض بعفتها وطهارة نفوسها وترفُّعها عن الصغائر - إنما كانت على عكس ذلك: تتنازع كالأطفال والرعاع على توافه الدنيا وسفساف العاجلة.

فالخلافة كانت في نظر الراشدين (عبئاً) يتولى الواحد منهم حمله بتكليف من المسلمين أداءً للواجب، ولم تكن عند أحد منهم (متاعاً) ولا (مأكلة) حتى ينازع غيره عليها.

ولما تأمرت الجوسية واليهودية على سفك دم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ^(١)، وأبقى الله من حياته بقيةً يدبر فيها للمسلمين أمرهم بعده، جعل الأمر

^(١) الذي يظهر من النصوص التاريخية أن مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان نتيجة مؤامرة وتدبير ولم يكن مبادرة فردية من أبي لؤلؤة الجوسي، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٣٥٠) بإسناد صحيح من طريق جرير بن حازم قال: سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن نافع قال: رأى عبد الرحمن بن عوف السكيني التي قتل بها عمر فقال: رأيت هذه أمس مع الهرمان، وجفينة، فقلت: ما تصنعان بهذه السكيني؟ فقالا: نقطع بها اللحم فإننا لا نمس اللحم. فقال له عبيد الله بن عمر: أنت رأيتهما معهما؟ قال: نعم فأخذ سيفه ثم أتاها فقتلها.

وأخرج أيضاً (٣/٣٥٥) بإسناد صحيح من طريق ابن شهاب الزهري قال: أخبرني سعيد

شورى، واقترح عليه بعض الصحابة أن يريح المسلمين من ذلك فيعهد إلى ابنه عبد الله بن عمر - ولم يكن عبد الله بن عمر دون أبيه في علم أو حزم أو بعد نظر أو إخلاص لله ورسوله والمؤمنين - رفض عمر ذلك وقال: «بحسب آل الخطاب أن يليها واحد منهم؛ فإن كان خيراً فقد أصبنا منه وإن كان رزواً فقد قمنا بنصيبنا فيه»^(١). وعبد الله بن عمر نفسه عرضت عليه الإمامة فيمن عرضت عليهم عند مقتل عثمان في ذي الحجة سنة ٣٥ فهرب منها كما كان

بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قتل عمر: قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة، والهرمزان وهم نجي فلما بغتهم ثاروا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه، فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر؟ فوجدوه الخنجر الذي نعت عبد الرحمن بن أبي بكر، فانطلق عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف حتى دعا الهرمزان فلما خرج إليه قال: انطلق معي حتى نظر إلى فرس لي، وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف، قال عبيد الله: فلما وجد حر السيف قال: لا إله إلا الله، قال عبيد الله: ودعوت جفينة - وكان نصرانياً من نصارى الحيرة وكان يعلم الكتاب بالمدينة - قال عبيد الله: فلما علوته بالسيف صلب بين عينيه.

كما أخرج ذلك البلاذري في ترجمة عمر (ص ٣٦٧) من أنساب الأشراف من طريق ابن سعد عن سعيد بن المسيب به، وابن جرير في تاريخه (٢٤٠/٤) من طريق سيف بن عمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب به، فهذه النصوص واضحة الدلالة على المؤامرة في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

^(١) أخرج ذلك الطبري في تاريخه (٢٢٨/٤) بإسناد جمعي من طريق المدائني، وأبي مخنف، لكن لقول عمر شاهد في الصحيحين (البخاري ٢٠٥/١٣، من الفتح، ومسلم ١٤٥٤/٣).

يهرب منها طلحة والزبير وعلي^(١)، ولم يتولها علي إلا قيامًا بواجب، ولم يستمدّها من خرافات المتحزّبين وسخافاتهم، بل من إرادة الأمة في ذينك اليومين (الخميس ٢٤ ذي الحجة، والجمعة ٢٥ منه) كما أعلن ذلك على رعوس الأشهاد وهو واقف على أحواد منبر رسول الله ﷺ^(٢). فعليّ إلى تلك الساعة لم تكن له شيعة خاصة به، يعرفها وتتصل به، ولم يخطر قط على باله أن يجعل أحدًا من الناس شيعة له، لأنه هو نفسه وسائر إخوانه من الصحابة كانوا شيعة الإسلام الملتفة حول خلفاء نبيها ﷺ أبي بكر ثم عمر ثم عثمان. ولو حدثته نفسه باتخاذ شيعة خاصة به غير جمهور الأمة الذي يتشيع للبيعة العامة لكان ذلك نقضًا منه لما عقد عليه صفقة يمينه لإمامه، وما طوق به عنقه من بيعة الإسلام لأصحابها. ولا شك أنه استمر على ذلك إلى عشية الخميس ٢٤ من ذي الحجة سنة ٣٥ للهجرة، وكان أهلاً لأن يستمر على ذلك بأمانة وإخلاص. ولو لم يكن عليّ كذلك لما كنا في هذه المنزلة السامية عند الله ثم عند الناس. ومن الثابت عنه في عشية ذلك اليوم أنه كان يدافع الخلافة عن نفسه، ويحاول أن يقنع أخاه طلحة بن عبيد الله - أحد العشرة المبشرين بالجنة - بأن يتولى هو هذا الأمر عن المسلمين، بينما طلحة أيضًا كان يدافعها عن نفسه ويحاول إقناع علي بأن يكون هو حامل هذا العبء، القائم عن المسلمين بهذا الواجب. وانظر الحوار بينهما في ذلك كما رواه عالم

(١) انظر نصوصًا عن إباء عبد الله بن عمر عن قبول الخلافة في الطبقات الطبري لابن سعد (١٥١/٤).

(٢) تاريخ الطبري (٣٤٦/٤) والخطبة من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

من كبار علماء التابعين وهو الإمام مُجَدِّد بن سيرين على ما أورده أبو جعفر الطبري في تاريخه (١٥٦/٦) طبعة مصر، ٣٠٧٥/١ طبعة هولندا^(١) فيقول عليُّ لطلحة «ابسط يدك يا طلحة لأبايعك» فيقول له طلحة: «أنت أحق، فأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك».

وكاد الناثرون من جماعة الفسطاط والكوفة والبصرة يثبون بعلي وطلحة والزبير فيقتلونها لهرجهم من ولاية الأمر وتعفهم جميعاً عن قبول الخلافة، فانتهى الأمر بقبول علي، وارتقى منبر رسول الله ﷺ في اليوم التالي (الجمعة ٢٥ من ذي الحجة سنة ٣٥) فخطب خطبة حفظ لنا عن ملأ وأذن، إن هذا أمركم، ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم. وقد افترقنا بالأمس على أمر (أي على البيعة له) فإن شئتم فعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد^(٢) وبذلك أعلن أنه لا يستمد الخلافة من شيء سبق، بل يستمدها من البيعة إذا ارتضتها الأمة.

٢- ومن مزايا الطبقة الأولى في الإسلام التي صحبت النبي ﷺ وتأدبت بأدبه وتشبعت بسنته أنها كانت ترى (الاعتدال) ميزان الدين، (الرفق) جمال الإسلام؛ لأن نبيها ﷺ كان يقول لها: «إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»^(٣) وكان يقول لها: «من

(١) تاريخ الطبري (٤٣٤/٤) من طبعة دار المعارف بمصر، بإسناد رجاله ثقات.

(٢) انظر تاريخ الطبري (٤٣٥/٤) وهي من رواية سيف عن شيوخه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة (٤/٢٠٠٤) حديث رقم: ٢٥٩٤، من حديث المقدم بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها كما أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد من سننه (٦/٣) حديث رقم: ٢٤٧٨ من الطريق السابق وأخرجه أحمد في مسنده من الطريق نفسه (٥٨/٦، ١١٢).

يحرم الرفق يحرم الخير كله»^(١) ويقول: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق»^(٢)، ويقول: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فيه»^(٣).

فلما نشأت الطبقة الثانية في حياة الطبقة الأولى أدب الآباء بنيتهم بهذا الأدب. ولكن أكثر ما كانت هذه الطريقة ناجحة في الحجاز ونجد والشام. وكان في ناشئة الكوفة والبصرة والفسطاط من أخذ بهذه الطريقة، كما أن فيهم من شب على الغلو في الدين.

أثر ابن سبأ في الفتنة

ومن أكبر المصائب في الإسلام في ذلك الحين تسلط إبليس من أبالسة اليهود على الطبقة الثانية من المسلمين فتظاهر لها بالإسلام وادعى الغيرة على

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة (٢٠٠٣/٤) حديث رقم: ٢٥٩٢. وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب باب الرفق (١٢١٦/٢) حديث رقم: ٣٦٨٧ والإمام أحمد في المسند (٣٦٦/٤) كلهم من طريق عبد الرحمن بن هلال العباسي عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند (١٩٩/٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وانظره في طبعة مؤسسة الرسالة برقم: ١٣٠٥٢، (٣٤٦/٢٠) وقال محققا هذا الجزء إنه حديث حسن بشواهده وذكر له جملة من الشواهد.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢١٥/١) وقال الشيخ أحمد شاكر: (١٨٥١) إسناده صحيح وانظرًا مزيدًا من التخريج في طبعة مؤسسة الرسالة (٣٥١/٣).

الدين والحمية لأهله، وبدأ يرمى شبكته في الحجاز والشام فلم تعلق بشيء بسبب تشبعهم بفترة الإسلام في اعتداله ورفقه، وحذرهم من طريقي الإفراط والتفريط. فذهب الملعون يتنقل بين الكوفة والبصرة والفسطاط ويقول لحدِيثي السن وقليلي التجربة من شبابها: عجباً لمن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]^(١) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. وكان يقول لهؤلاء الشبان: «مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلِيِّ خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ»^(٢) ثم يقول لهم محرّضاً على عثمان، وكان ذلك في أواخر خلافة عثمان سنة ٣٠: «ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله، ومن يثب على عليٍّ وصي رسول الله ويتنزع منه أمر الأمة»^(٣) ويقول لهم: «إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، وهنالكَ عليٌّ وصيُّ

(١) سورة القصص آية: ٨٥ والمراد بقوله: لرداك إلى معاد: أي إلى يوم البعث، وقيل الموت، وقيل إلى مكة لفتحها، وفتح مكة علامة موته ﷺ كما فسر ابن عباس سورة النصر، وهذه الأقوال كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/٢٦٠) يرجع بعضها إلى بعض.

(٢) ورواية هذه الحقائق عن الملعون ابن سبأ اتفق عليها أهل السنة والشيعة، وقد نقلنا مثل هذا عن تنقيح المقال للمامقاني (ج ٢/١٨٤) كما نقله المامقاني عن الكشي من كبار أئمتهم. وقد اعترفوا بذلك أن وصف علي بأنه «وصي» من اختراع ابن سبأ ولا علم للنبي ﷺ بهذا الوصف لعلي لأنه اخترع في خلافة عثمان «محب».

قلت: وانظر تفصيل ذلك في مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة من أعداد الدكتور ناصر الفقاري (١/١٣٤-١٣٨) وقد وثق النقول من كتب الشيعة القدامى، وانظر كذلك أصول مذهب الشيعة الإثنا عشرية (١/٨٢-٨٩).

(٣) تاريخ الطبري (٤/٣٤٠) من طريق سيف بن عمر.

رسول الله فأنهضوا فحركوه، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس»^(١).

إن هذا الشيطان هو عبد الله بن سبأ من يهود صنعاء، وكان يسمى ابن السوداء، وكان يبيث دعوته بجنث وتدرج ودهاء. واستجاب له ناس من مختلف الطبقات، فاتخذ من بعضهم دعاة فهموا أغراضه وعوّلوا على تحقيقها. واستكثر أتباعه بأخرين من البلهاء الصالحين المتشددين في الدين المنتنعين في العبادة ممن يظنون الغلو فضيلة والاعتدال تقصيراً. فلما انتهى ابن سبأ من تربية نفر من الدعاة الذين يحسنون الخداع، ويتقنون تزوير الرسائل، واختراع الأكاذيب، ومخاطبة الناس من ناحية أهوائهم، بث هؤلاء الدعاة في الأمصار - ولا سيما الفسطاط والكوفة والبصرة - وعنى بالتأثير على أبناء الزعماء من قادة القبائل وأعيان المدن الذين اشترك آباؤهم في الجهاد والفتح، فاستجاب له من بلهاء الصالحين وأهل الغلو من المنتنعين جماعات كان على رأسهم في الفسطاط الغافقي بن حرب العكبي^(٢) وعبد الرحمن بن عُديس البلوي التُّجِيبِي

(١) المصدر نفسه (٣٤١/٤) وانظر نصوصاً عن ابن سبأ من غير طريق سيف بن عمر في تاريخ دمشق (خط) (٣٣١/٩-٣٣٢) ترجمة ابن سبأ. وانظر، سليمان حمد العودة: عبد الله بن سبأ وأثره في أحدث الفتنة في صدر الإسلام الفصل الثاني وقد ذكر في (ص ٩٨) بأنه عرض أسانيد ابن عساكر على فضيلة الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني فأفاد بأنها بين صحيح وحسن صحيح لغيره.

(٢) كان أمير المصريين الذين قدموا إلى عثمان، ولما منعوا عثمان من الصلاة في المسجد كان هو الذي يصلي بالناس، وهو من الذين اقتحموا دار عثمان وشارك في قتله (الطبري، التاريخ ٣٥٤/٤، ٣٩١).

الشاعر^(١) وكنانة ابن بشر بن عَتَّاب التَّجِيبِي^(٢)، وسودان بن حُمَرة
السَّكُونِي^(٣)، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخَزَاعِي^(٤)، وعمرو بن الحَمِق

(١) له ترجمة في طبقات ابن سعد (٥٠٩/٧) والاستيعاب (٨٤٠/٢)، وأسد الغابة (٣/٤٧٤) وقد نسبته بهذه النسبة «البلوي التجيبي» كل من ابن الكلبي كما في الطبري (٣٦٨/٤) وابن إسحاق (٣٦٩/٤) واقتصر كل من سيف بن عمر (٣٤٨/٤) والواقدي (٣٨٢-٣٧٣/٤) على نسبته إلى بلي، وهي قبيلة معروفة تسكن شمال الجزيرة الغربي وتنسب إلى بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاة (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ص ٤٢٩)، ولم ترد نسبته إلى تجيب في مصادر ترجمته. وتجيب فرع من السكون من قبائل اليمن وقد نسبوا إلى أمهم تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج (ابن حزم المصدر السابق/٤٤٢).

(٢) ترجمه ابن حجر في الإصابة (٦٥٤/٥) ونقل عن ابن يونس أنه شهد فتح مصر، ثم اعتذر عن إيراده في كتاب الإصابة بقوله: «وإنما ذكرته لأن الذهبي ذكر عبد الرحمن بم ملجم لأن له إدراكًا، وينبغي أن ينزه عنهما كتاب الصحابة وهما لم يكونا من الصحابة، وإنما أدركوا زمن البعثة، وقد كان كنانة ممن باشر قتل عثمان، ثم قتل بفلسطين سنة (٣٦هـ)». وانظر: تاريخ الطبري (٣٤٨/٤، ٣٩٣، ٣٩٤).

(٣) هو سودان بن حمران السكوني المرادي، كان من رؤساء المصريين الذين ساروا على عثمان وقد شارك في قتل عثمان ﷺ، ثم قتل على يد أحد غلمان عثمان أثناء المواجهة في دار عثمان سنة ٣٥هـ. (تاريخ الطبري ٣٧٢/٤، ٣٩١).

(٤) كنيته أبو عمرو، كان في خلافة عمر بن الخطاب صبيًا صغير السن، وكان مع علي في صفين وقتل بها، وكان عمره أربعًا وعشرون سنة كما جزم بذلك الطبري في (تاريخه ١٣٩/٤) وصحح أبو نعيم ذلك كما نقله الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٥٦/٥)، وهو غير الصحابي عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

الخزاعي^(١)، وعروة بن النباع الليثي^(٢)، وقُتَيْبَةُ السكوني^(٣).
 وكان على رأس من استغواهم ابن سبأ في الكوفة: عمرو بن الأصم^(٤)،
 وزيد بن صوحان العبدي^(٥)، والأشتر مالك بن الحارث النخعي^(٦)، وزيد بن
 النضر الحارثي^(٧)، وعبد الله بن الأصم^(٨).

(١) ترجمة ابن حجر في الإصابة (٦٢٣/٤)، وذكر أنه سكن الكوفة وكان ممن قدم على
 عثمان مع أهلها، ثم قدم مصر وسكنها، قال ابن السكن: له صحبة، وفي (تاريخ بغداد
 ٣٩٤/٤) من طريق الواقدي أنه شارك في قتل عثمان رضي الله عنه وطعنه عدة طعنات، وقد
 كانت وفاته سنة إحدى وخمسين قتله عامل الموصل وهو شيخ كبير مريض، وكان قد
 هرب إليها من الكوفة (تاريخ الطبري ٢٦٥/٥).

(٢) أحد المحاصرين لعثمان (انظر تاريخ الطبري ٢٧٣/٤، ٢٩٤) وابن حزم: جمهرة أنساب
 العرب (ص ١٨٣).

(٣) قُتَيْبَةُ بن فلان السكوني، ذكره الطبري (٣٩١/٤) من الذين اقتحموا دار عمان رضي الله عنه،
 وقتله أحد غلمانه يومئذ.

(٤) كان رئيس الذين خرجوا من الكوفة كما في تاريخ الطبري (٣٤٩/٤) ولم أجد له ترجمة.
 (٥) من بني عبد القيس في عمان وهو أخ لصعصعة وسيحان ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى
 من التابعين من أهل الكوفة (الطبقات الكبرى ١٢٣/٦) وترجمة ابن حجر في الإصابة
 (٦٦١/٢) وقال: المعروف أنه مخضرم، وذكر ابن عساکر في (تاريخ دمشق ٦٢٩/٦)
 أن له وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يوم الجمل من الأمراء مع علي وقتل في المعركة. (انظر
 الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥٢١/٤، ٥٤٢).

(٦) ترجمة ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في الكوفة، وكان من أصحاب علي بن أبي
 طالب، وشهد معه الجمل وصفين، وولاه على مصر فخرج إليها ومات بالعريش (ابن
 سعد: الطبقات الكبرى ٢١٣/٦).

(٧) ذكره سيف ممن قدم على عثمان من أهل الكوفة لخلعه (تاريخ الطبري ٣٤٩/٤) ويذكر

ومن البصرة حرقوص بن زهير السعدي^(٢)، وحكيم بن جبلة العبدي^(١)،

أبو مخنف أنه من أمراء علي في صفين، كما أن له مشاركة في حرب الخوارج مع علي (الطبري ٥٦٥/٤، ٦٤٤/٥-٦٥) وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة أن له إدراك لزمان البعثة ورواية عن أبي هريرة (٦٤٣/٢).

(١) أحد بني عامر بن صعصعة، ذكره الطبري من رواية سيف ممن قدم من أهل الكوفة على عثمان لخلعه (تاريخ الطبري ٣٤٩/٤).

(٢) له ذكر في فتح العراق فعند الطبري في تاريخه (٧٦٦/٤-٧٩) من طريق سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب أمد أهل البصرة في ولاية عتبة بن غزوان بحرقوص بن زهير السعدي قال: وكانت له صحبة عن رسول الله ففتح سوق الأهواز وما حوله. كما ذكر عن طريق سيف أيضاً (٤٩٦/٤) أنه لم يشارك في معركة الجمل فقد اعتزل هو وقومه بمشورة الأحنف بن قيس السعدي التميمي، وذكر عن طريق أبي مخنف (٨٥/٥-٨٧) أنه كان من الحوروية وقتل في معركة النهراون سنة ٣٧هـ. وقد ترجمه ابن الأثير في أسد الغابة (٤٧٤/١) وذكر مجمل ما ذكر الطبري في تاريخه. أما الحافظ ابن حجر، فقد ترجمه في الإصابة (٤٩/٢) ونقل عن الهيثم بن عدي أن الخوارج تزعم أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب يعرفه ثم قال ابن حجر: وزعم أبو عمر أنه ذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج المقتول بالنهراون. وبمراجعتي لكتاب الاستيعاب لابن عبد البر لم أفد على ترجمة في كتابه، فلعله ذكر ذلك في كتاب آخر.

وقال الحافظ في فتح الباري (٢٩٣/١٢): وأخرج الثعلبي ثم الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٤٧) عن طريق محمد بن يحيى الذهلي عن عبد الرزاق فقال فيه: ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج. قال: وما أدري من الذي قال: وهو حرقوص.. إلخ! وقد اعتمد على ذلك ابن الأثير في الصحابة فترجم لذي الخويصرة التميمي في الصحابة وساق هذا الحديث من طريق أبي إسحاق الثعلبي، وقال بعد فراغه: فقد جعل في هذه الرواية اسم ذي الخويصرة حرقوصاً والله أعلم (أسد الغابة ١٧٢/٢).

وذَرِيح بن عباد العبدي^(٢) وبشر بن شريح الحُطَم بن ضبيعة القيسي^(٣)، وابن المحرش بن عبد ابن عمرو الحنفي^(٤).

أما المدينة فلم يندفع في هذا الأمر من أهلها إلا ثلاثة نفر وهم: مُجَد بن أبي بكر، ومُجَد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وعمار بن ياسر^(٥).

قلت روايات الحديث في مسند أحمد والصحيحين ليس فيها تسميته حرقوصًا، وإنما في صحيح البخاري (٢٩٠/١٢ من فتح الباري) حديث رقم: ٦٩٣٣، من حديث معمر عن الزهري عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري: بينا النبي ﷺ يقسم جاءه عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي... وتولية عمر بن الخطاب لحرقوص بن زهير ترد القول بأنه ذا الخويصرة لأن عمر شاهد على قصته مع رسول الله وقد استأذنه في قتله.

^(١) ترجمة ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٦٦/١) وقال أدرك النبي ﷺ، ولا أعلم له رواية ولا خبرًا يدل على صحبته، وكان عثمان بعثه إلى السند، ثم كان من الذين قدموا على عثمان من أهل البصرة وطالبوا بخلعه، وقتل في المناوشات قبل يوم الجمل (تاريخ الطبري ٤٧١/٣) ابن حجر: (الإصابة ١٧٨/٢).

^(٢) من الذين خرجوا من البصرة لخلع عثمان ثم قتل في البصرة أثناء المناوشات الأولى قبل معركة الجمل سنة ٣٦ هـ (الطبري التاريخ ٣٤٩/٤، ٤٧١).

^(٣) لم أقف على ترجمته وقد ذكره الطبري من الذين قدموا البصرة لخلع عثمان من رواية سيف بن عمر (الطبري التاريخ ٣٤٩/٤).

^(٤) لم أقف له على ترجمة وذكره الطبري عن رواية سيف في من قدم من أهل البصرة لخلع عثمان، ثم قتل فيما يظهر في البصرة سنة ٣٦ هـ، حيث نص الطبري في روايته عن سيف أنه لم يفلت أحد ممن شارك في قتل عثمان من أهل البصرة إلا حرقوص بن زهير هرب فمنعه قومه (الطبري التاريخ ٣٤٩/٤، ٤٧٢).

^(٥) وضع عمار ؓ معهما غير دقيق وغير مناسب، وما ينسب إليه في التأليب على عثمان غير صحيح.

من وسائله في إثارة الفتنة

ومن دهاء ابن سبأ ومكره أنه كان يبيث في جماعة الفسطاط الدعوة لعلي (وعلي لا يعلم ذلك)، وفي جماعة الكوفة الدعوة لطلحة، وفي جماعة البصرة الدعوة للزبير. وليس هنا موضع تحليل نفسيات المخدوعين بدعوة هذا الشيطان، ولا نريد أن ننقل ذم علي وطلحة والزبير لهم وما قالوه فيهم يوم نزول الثائرون في ذي خشب^(١) والأعوص^(٢) وذو المروة^(٣)، وكيف زور ابن سبأ

– أما مُجَدِّ بن أبي حذيفة فقد كان من المؤيِّبين على عثمان وقد انتزى على ولاية مصر وانتزعها من ابن عامر خليفة واليها عبد الله بن سعد بن سرح، ثم لم يتمتع بها حيث قتل سنة ٣٦هـ، وانظر خبره في كتاب ولاة مصر للكندي (ص ١٩ وما بعدها) وابن حجر: (الإصابة ١٠/٦).

– ومُجَدِّ بن أبي بكر الصديق أمه أسماء بنت عُمَيْس وقد نفست به في ذي الحليفة في حجة الوداع وخبرها في صحيح مسلم، فهو لم يدرك رسول الله ﷺ وليس له رواية عنه، وقد نشأ في بيت علي عليه السلام حيث خلف على أمه بعد وفاة الصديق، وقد كان مع وفد المصريين الذين حصروا عثمان، ودخل على عثمان ثم خرج واستحيا منه، وقد ولاه على مصر، فخرج إليها ثم قتل من قبل معاوية بن خديج كما في صحيح مسلم (٣/١٤٥٨) ومسند أبي عوانة (٤/٤١٣) وذلك في صفر سنة ٣٨هـ، وانظر خبره عند الكندي، تاريخ ولاة مصر (٢٨-٣١).

(١) ذو خشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة (ياقوت، معجم البلدان ٢/٣٧٢).

(٢) الأعوص: موضع قرب المدينة إلى شرقها، فيه اليوم مطار المدينة، (عائق البلادي: المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٣١).

(٣) ذو المروة: موضع بين وادي القرى وذو خشب (ياقوت، معجم البلدان).

وشياطينه رسالة على لسان علي بدعوة جماعة الفسطاط إلى الثورة في المدينة، فلما واجهوا عليًا بذلك قالوا له: أنت الذي كتبت إلينا تدعوننا، فأنكر عليهم أنه كتب لهم ^(١)، وكان ينبغي أن يكون ذلك سببًا ليقظتهم ويقظة علي أيضًا إلى أن بين المسلمين شيطانًا يزور عليهم الفساد لخطة مرسومة تنطوي على الشر الدائم والشرر المستطير، وكان ذلك كافيًا لإيقاظهم إلى أن هذه اليد الشريرة هي التي زورت الكتاب على عثمان إلى عامله بمصر بدليل أن حامله كان يتراءى لهم متعمدًا ثم يتظاهر بأنه يتكتم عنهم ليثير ريبتهم فيه ^(٢)، فراح المسلمين إلى يومنا هذا ضحية سلامة قلوبهم في ذلك الحين.

إن دراسة هذا الموضوع الآن على ضوء القرائن القليلة التي بقيت لنا بعد مضي ثلاثة عشر قرنًا تحتاج إلى من يتفرغ لها من شباب المسلمين، وسيجدون مستندات الحق في تاريخهم كافية لوضع كل شيء في موضعه إن شاء الله ^(٣).

^(١) تاريخ خليفة (ص ١٦٩) بإسناد صحيح وكذا عند الطبري (١١٦/٥، ٣٥٤/٤) بإسناد خليفة مع اختلاف يسير في السياق.

^(٢) انظر خبره في المصدرين السابقين. وعلي عليه السلام وغيره من الصحابة أدركوا هذه المكيدة، ولكن لم يكن من نجهم الأخذ بالظنّة، ثم بعد وقوع مقتل عثمان لم يتمكن الخليفة من القصاص منهم لوجود من يدافع عنهم في قبائلهم وأحزابهم، وقد قتل عامتهم في يوم الجمل وماتلاها ولم يمتنع أحد ممن باشر قتل عثمان بالدنيا بعده.

^(٣) لقد تمكن عدد من الباحثين والله الحمد إلى الوصول إلى الصورة الصحيحة للأحداث، وقد أشرت إلى دراساتهم فيما سبق.

أول الفتن ظهوراً

فأول فتنة وقعت في الإسلام هي فتنة المسلمين بمقتل خليفتهم وصهر نبينهم الإمام العادل الكريم الشهيد ذي النورين عثمان بن عفان رضوان الله عليه ^(١).

^(١) أخرج البخاري في صحيحه معلماً (٣٢٣/٧ من فتح الباري) حديث رقم: ٤٠٢٤، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال: وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تبق من أصحاب بيعة الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباح»، وطباح: بفتح المهملة والموحدة الخفيفة، أي قوة.

قال الحافظ ابن حجر: هذا الأثر وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصاري نحوه. ومعنى قوله في الفتنة الأولى - يعني قتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحداً: أي أنهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرة، وكان آخر من مات من البدرين سعد بن أبي وقاص، ومات قبل وقعة الحرة بوضع سنين. وقوله: ثم وقعت الفتنة الثانية: يعني الحرة كانت الحرة في آخر زمن يزيد سنة ٦٣هـ، وقوله: ثم وقعت الثالثة، ولم يفسر يحيى بن سعيد الثالثة كما فسر غيرها، ويظهر أن يحيى بن سعيد أراد الفتن التي تقع في المدينة النبوية دون غيرها لما ذكر ابن التين أن مالكا روى عن يحيى بن سعيد قال: لم تترك الصلاة في مسجد النبي ﷺ إلا يوم قتل عثمان، ويوم الحرة، قال مالك: ونسبت الثالثة. قال ابن عبد الحكم: هو يوم خروج أبي حمزة الخارجي، وكان ذلك في خلافة مروان بن محمد بن الحكم سنة ١٣٠هـ، وكان ذلك قبل موت يحيى بن سعيد بمدة (فتح الباري ٣٢٥/٧).

قلت: ويمكن اعتبار موقعة الجمل وصفين الفتنة الثانية كما سيأتي.

وقد علمت أن الذين قاموا بها وجنوا جنايتها فريقان: خادعون ومخدوعون. وقد وقعت هذه الكارثة في شهر الحج، وكانت عائشة أم المؤمنين قد خرجت إلى مكة مع حجاج بيت الله ذلك العام^(١)، فلما علمت بما حدث في مدينة الرسول أحزنها بغى البغاة على خليفة نبيهم. وعلمت أن عثمان كان حريصاً على تضيق دائرة الفتنة. فمنع الصحابة من الدفاع عنه^(٢)، بعد أن أقام الحجة على الثائرين في كل ما ادعوه عليه وعلى عماله، وكان الحق معه في كل ذلك وهم على الباطل، وكان هو المثل الإنساني الأعلى في العدل وكرم النفس والنزول على قواعد الإسلام واتباع سننه، وكان في مدة خلافته أكرم وأصلح وأكثر إنصافاً وقياماً بالحق واتباعاً للخير مما كان هو عليه في زمن رسول الله ﷺ. واجتمعت عائشة بكبار الصحابة، وتداولت الرأي معهم فيما ينبغي عمله - وقد عرف القراء ما كانوا عليه من نزاهة، وفرار من الولاية، وترفع عن شهوات النفس - فرأوا أن يسيروا مع عائشة إلى العراق ليتفقوا مع أمير المؤمنين علي على الاقتصاص من السبائيين الذين اشتركوا في دم عثمان وأوجب الإسلام عليهم الحد فيه، ولم يكن يخطر على بال عائشة وكل الذين كانوا معها - وفي مقدمتهم طلحة والزبير المشهود لهما من النبي ﷺ بالجنة - أنهم سائرون ليحاربوا علياً، ولم يكن يخطر ببال علي أن هؤلاء أعداء له وأنهم حرب عليه. وكل ما في الأمر أن أولئك المنتطعين الغلاة الذين انخدعوا بدعوة عبد الله بن

(١) أي عام ٣٥هـ.

(٢) انظر نصوصاً صحيحة تؤكد ذلك أخرجها خليفة بن خياط في تاريخه (ص ١٧٣). وانظر

كذلك: ترتيب وتهديب البداية والنهاية: «خليفة عثمان ﷺ».

سباً واشتركوا في قتل عثمان انغمروا في جماعة علي، وكان فيهم الذين تلقنوا الدعوة له وتعلمذوا على ذلك الشيطان اليهودي في دسياسة أوصياء الأنبياء ودعوى خاتم الأوصياء، فجاءت عائشة ومن معها للمطالبة بإقامة الحد على الذين اشتركوا في جناية قتل عثمان، وما كان علي - وهو من هو في دينه وخلقه - ليتأخر عن ذلك، إلا أنه كان ينتظر أن يتحاكم إليه أولياء عثمان (١).

الفتنة الثانية: وقبل أن يتفق الفريقان على ذلك شعر قتلة عثمان بأن الدائرة ستدور عليهم، وهم على يقين بأن علياً لن يجميهم من الحق عند ظهوره، فأنشبت هؤلاء حرب الجمل، فكانت الفتنة الثانية^(٢) بعد الفتنة الأولى. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤١/١٣-٤٢، ٤٤) معتمداً على

(١) هذا قول في تفسير موقف علي عليه السلام والقول الآخر أن علياً عليه السلام لم يكن متمكناً من ذلك لوقوع الاختلاف ووجود من يدافع عنهم، فكان يريد تسكين الفتنة حتى إذا اجتمعت الأمة تمكن من القصاص منهم انظر (منهاج السنة لابن تيمية ٦/٣٣٩) وانظر قول القعقاع بن عمرو: هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا. (تاريخ الطبري ٤/٤٨٩) ويقول ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية (ص ٥٤٦): وكان في عسكر علي عليه السلام من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان عليه السلام من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله.

(٢) سبق ذكر قول سعيد بن المسيب، وتفسير يحيى بن سعيد الأنصاري له بأن المراد بالفتنة الثانية موقعة الحرة بالمدينة سنة ٦٣هـ، وكان مراده ذكر الفتنة الواقعة بالمدينة، وهذا لا يخالف اعتبار وقعة الجمل الفتنة الثانية بعد الفتنة الأولى التي هي مقتل عثمان عليه السلام.

كتاب (أخبار البصرة) لعمر بن شبة، وعلى غيره من الوثائق القديمة التي جاء فيها عن ابن بطال قول المهلب: «... إن أحدًا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليًا في الخلافة، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على عليٍّ منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم. وكان علي ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه. فاختلفوا بحسب ذلك وخشى من نسب إليهم القتل أن يصطلحوا على قتلهم، فأنشبو الحرب بينهم (أي بين فريق عائشة وعلي) إلى أن كان ما كان»^(١).

ونجح قتلة عثمان في إثارة الفتنة بوقعة الجمل، فترتب عليها نجاحهم وسفك دماء المسلمين من الفريقين، وإنك لتجد الأسماء التي سجلها التاريخ في فتنة عثمان بقي يتردد كثير منها في وقعة الجمل، وفيما بين الجمل وصفين، ثم في وقعة صفين وحادثة التحكيم.

ظهور الخوارج والشيعة

وفي هذه الحادثة الأخيرة اتسعت دائرة الغلو في الدين، فكثر المصابون بوبائه، وتفننوا في مذهبهم، إلى أن انتهى أمرهم بانشقاق (الخوارج) عن علي،

^(١) انظر خبر ذلك أيضًا في «تاريخ الطبري ٤/٤٩٣» وما بعدها وابن كثير: (البداية والنهاية ٢٦١/٧) وسليمان حمد العودة، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام (١٨٨-١٩٧).

وتميز فريق من المتخلفين مع علي باسم (الشيعة)، ولم يقع نظري على اسم للشيعة في حياة علي كلها إلا في هذا الوقت سنة ٣٧هـ. ومن الظواهر التي تسترعى الأنظار في تاريخ هذه الفترة أن الغلاة من الفريقين - فريق الشيعة وفريق الخوارج - كانوا سواء في الحرمة^(١) للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، تبعاً لما كان عليه أمير المؤمنين علي نفسه، وما كان يعلنه على منبر الكوفة من الثناء عليهما والتنويه بفضلهما.

أما الخوارج فإنهم والإباضية ظلوا على ذلك لم يتغيروا أبداً، فأبو بكر وعمر كانا عندهم أفضل الأمة بعد نبيها، استرسالاً منهم فيما كانوا عليه مع علي قبل أن يفارقوه^(٢).

وأما الشيعة فإنهم عندما جددوا بيعتهم لعلي بعد خروج الخوارج إلى حروراء والنهراون^(٣) قالوا له أولاً: «نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت». فشرط لهم - كرم الله وجهه سنة رسول الله ﷺ: أي أن يوالوا من والى علي سنة رسول الله، ويعادوا من عادى علي سنته ﷺ. فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي - وكان صاحب راية خثعم في جيش علي أيام الجمل وصفين - فقال له علي: «بايع علي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ» فقال ربيعة: «وعلى سنة أبي بكر

(١) أي: في الاحترام والتقدير.

(٢) لكن معتقدهم في بقية الصحابة فيه انحراف وتكفير لبعضهم.

(٣) حروراء والنهراون: اسمان لموضعين متقاربين، ففي حروراء، كانت إقامة الخوارج واعتزالهم لعلي ولذا نسبوا إليها قبيل الحرورية، والنهراون هو المكان الذي وقع فيه القتال بينهم وبين علي رضي الله عنه والذي قتل فيه ذو الندية الرجل المخدج، وخبره في صحيح مسلم (٧٤٨/٢).

وعمر» فقال علي: «لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لم يكونا على شيء من الحق»^(١) أي أن سنة أبي بكر وعمر إنما كانت محمودة ومرغوبًا فيها لأنها قائمة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، فبيعتكم الآن على كتاب الله وسنة رسوله تدخل فيها سنة أبي بكر وعمر.

هكذا كان (موقف) أمير المؤمنين علي من أخويه وحبيبيه خليفتي رسول الله؛ أبي بكر، وعمر، في حياته كلها، وهكذا كانت شيعته الأولى: من خرج منهم عليه، ومن جدد البيعة له بعد التحكيم.

واقعة التحكيم

وحكاية التحكيم هذه كانت مادة دسمة للمغرضين من مجوس هذه الأمة أتاحت لهم دس السموم في تاريخنا على اختلاف العصور، وأول من شمر عن ساعديه للعبث بها وتشويهه وقائعها أبو مخنف لوط بن يحيى^(٢) ثم خلف خلف بعد أبي مخنف بلغوا من الكذب ما جعل أبا مخنف في منزلة الملائكة بالنسبة إلى هؤلاء الأبالسة، وأبو مخنف معروف عند ممحصي الأخبار وصيارفة الرجال بأنه أخباري تالف لا يوثق به. نقل الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) عن

(١) انظر (تاريخ الطبري ٧٦/٥) من رواية أبي مخنف.

(٢) انظر الدراسة القيمة التي أعدها د/ يحيى بن إبراهيم اليحى عن مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، دراسة نقدية (٣٧٨-٤١٨) وسترى فيها مدى التشويه والافتراء الذي لحقه هذا الأخباري الحافظ بتاريخ سلفنا الصالح والجيل الأول من الصحابة الكرام.

حافظ إيران ورأس المحققين من رجالها أبي حاتم الراوي رحمته أنه تركه وحذر الأمة من أخباره^(١) وأن الدارقطني أعلن ضعفه، وأن ابن معين حكم عليه بأنه ليس بثقة، وأن ابن عدي وصفه بأنه «شيعي محترق»^(٢).

من طرقهم في تزوير الأخبار:

ومن براعة هؤلاء المغرضين في تحريف الوقائع ودس أغراضهم فيها، وتوجيهها بحسب أهوائهم، لا كما وقعت بالفعل.

١- أنهم كانوا يعمدون إلى حادثة وقعت بالفعل فيوردون منها ما كان يعرفه الناس، ثم يلصقون بها لصيقاً من الكذب الإفك يوهمون أنه من أصل الخبر ومن جملة عناصره، فيأتي الذين بعدهم فيجدون الخبر القديم مختصراً فيحكمون عليه بأنه ناقص، ويقولون من حفظ حجة على من لم يحفظ» ويتناولون الخبر بما لصق به من لصيق مفترى، حتى تكون الرواية الجديدة وما في بطنها من جنين الإثم هي المتداولة بين الناس^(٣).

٢- وقد يعمد هؤلاء المغرضون إلى موهبة من مواهب النبوغ عرف بها أحد أبطال التاريخ الإسلامي وعظماء الدعاة الفاتحين، ولم يعرف عنه

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال (٣/٤٢٠).

(٢) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٢١١٠).

(٣) لمعرفة المزيد من وسائلهم انظر: مختصر التحفة الإثنى عشرية، لعلامة العراق السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق: محب الدين الخطيب (٢٥-٤٧) وانظر أيضاً د/ ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعية (١/٦١-٨٣).

استعمالها إلا في سبيل الحق والخير، فيطلعون على الناس بأكاذيب يرتبونها على تلك الموهبة، ويوهمون أن رجل الحق والخير الذي حلاه الله بتلك الموهبة ولم يستعملها إلا في نشر دين الله وتوسيع نطاق الوطن الإسلامي، قد انقلب بزعمهم مع الزمن، وسخر نبوغه للباطل والشر؛ فإذا أخذ المحققون في تمحيص ذلك، وتحري مصادر هذه التهم التي لا تلتئم مع ما تقدمها من سيرة ذلك البطل المجاهد، وجدوها من بضاعة الكذابين ومفترياتهم، ولكن قلما يجدي ذلك بعد أن يكون «قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً».

هذا أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي بطل أجنادين، وفتح مصر، وأول حاكم ألغى نظام الطبقات فيها، وكان السبب الأول في عروبتهما وإسلام أهلها، وشريك مسلميها في حسناتهم من زمنه إلى الآن لأنه الساعي في دخولهم في الإسلام - هذا الرجل العظيم عرفه التاريخ بالدهاء ونضوج العقل وسرعة البادرة، وكان نضوج عقله سبب انصرافه عن الشرك ترجيحاً لجانب الحق واختياراً لما دله عليه دهاؤه من سبيل الخير، فجاء مزيفوا الأخبار من مجوس هذه الأمة وضحاياهم من البلهاء فاستغلوا ما اشتهر به عمرو من الدهاء استغلالاً تقر به عين عبد الله بن سبأ في طبقات الجحيم.

يقول قاضي قضاة إشبيلية بالأندلس الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (المولود في إشبيلية سنة ٤٦٨ والمتوفي بالمغرب سنة ٥٤٣) في كتابه (العواصم من القواسم/ ١٧٧) بعد أن ذكر ما شاع بين الناس في مسألة تحكيم عمرو وأبي موسى، وما زعموه من أن أبا موسى كان أبله وأن عمراً كان

محتالاً: «هذا كله كذب صراح، ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعتة التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع. وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أهما - يعني عمرًا وأبا موسى - لما اجتماعاً للنظر في الأمر، في عصابة كريمة من الناس منهم ابن عمر، عزل عمرو معاوية.

ذكر الدارقطني بسنده عن حزين بن المنذر أنه لما عزل عمرو معاوية جاء (أي حزين) فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية، فبلغ نبأ معاوية، فأرسل إليه فقال: إنه بلغني عن هذا (يعني عمرو بن العاص) كذا وكذا (يعني اتفاهه مع أبي موسى على عزل الأميرين المتنازعين حقناً لدماء المسلمين ورداً للأمر إليهم يختارون من يكون به صلاح أمرهم)^(١). فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه - قال حزين - : فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولقد قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر قال: أرى أنه في النفر الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلي أنا ومعاوية؟ فقال: إن يُسْتَعْنَ بكما ففيكما معونة، وإن يُسْتَعْنَ عنكما فطالما استغنى أمر عنكما. قال: فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسه. فأتيته (أي

(١) النص ليس فيه هذا التفسير، فلعله سبق قلم من المؤلف، وقد أخرج النص الإمام البخاري في (التاريخ الكبير ٣٩٨/٥)، مطولاً كما هنا، وانظر مزيداً من التفصيل حول حادثة التحكيم والصورة الصحيحة لها د/ يحيى إبراهيم اليحي، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (عصر الخلافة الراشدة دراسة نقدية ٤٠١-٤١٨).

أن حضيئاً أتى معاوية) فأخبرته أن الذي بلغه عنه كما بلغه. أي أن الذي بلغ معاوية من أن عمرًا وأبا موسى عزلاه هو كما بلغه، وأنهما رأيا أن يرجع في الاختيار من جديد إلى النفر الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. ثم ذكر القاضي أبو بكر بن العربي بقية خبر الدارقطني عن إرسال معاوية رسولا -وهو أبو الأعور الذكواني- إلى عمرو بن العاص يعاتبه، وأن عمرًا أتى معاوية وجرى بينهما حوار وعتاب، فقال عمرو لمعاوية: «إن الضُّجُور قد تَحَلَّبُ العَلْبَةُ»^(١) وهو مثل معناه أن الناقة الضجور التي لا تسكن للحالب قد ينال الحالب من لبنها ما يملأ العلبة. فقال له معاوية: «وتربذ الحالب فتدق أنفه وتكفأ إناءه».

فرواية الدارقطني هذه - وهو من أعلام الحديث - عن رجال عدول معروفين بالتشبيت، ويقدرّون مسئولية النقل، هي التي تتناسب مع ماضي عمرو وأبي موسى، وأيامهما في الإسلام ومكانتهما من النبي ﷺ وموضعهما من ثقة الفريقين بهما، واختيارهما من بين السادة القادة المجريين. وأما الافتئات على أبي موسى والإيهام بأنه كان أبله فهو أشبه بالرقعة الغريبة في رذائه السابع الجميل. يقول القاضي أبو بكر بن العربي (ص ١٧٤): «وكان أبو موسى رجلاً تقيًا تَقِيًّا فقيهاً عالمًا أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقدمه عمر بن الخطاب وأثنى عليه بالفهم»^(٢). وزعمت الطائفة التاريخية أنه كان أبله ضعيف الرأي محدوعًا في القول» ثم رد هذه الأكاذيب وأحال في تفصيل الرد على كتاب له

(١) انظر أبو عبيد: الأمثال (ص ٣١١) والميداني: مجمع الأمثال (١/٤٢٠).

(٢) واختصه بكتابه الشهير في القضاء وآدابه وقواعده «محب».

اسمه (سراج المريدين).

من شروط كتاب التاريخ

- وبعد فإن صحائف أصحاب رسول الله ﷺ كانت كقلوبهم نقاء وسلامة وطهرًا. وما نتمناه من تمحيص التاريخ أول ما يشترط فيمن يتولاه.
- ١- أن يكون سليم الطوية لأهل الحق والخير.
 - ٢- عارفاً بهم كما لو كان معاصراً لهم.
 - ٣- بارعاً في التمييز بين حملة الأخبار: من عاش منهم بالكذب والدس والهوى، ومن كان منهم يدين لله بالصدق والأمانة.
 - ٤- التحرز عن تشويه صحائف المجاهدين الفاتحين الذين لولاهم لكنا نحن وأهل أوطاننا جميعاً لا نزال كفرة ضالين^(١).

(١) وقد اقترح كاتب هذه الكلمة على مشيخة الأزهر إعادة النظر في دراسة التاريخ الإسلامي. ولعل الله يوفق إلى ذلك فتعود الأمة إلى مواطن الأسوة الصالحة من ماضيها النقي الطاهر، والله المستعان «محب».